

روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
أسطورة
المينوتور
22
Looloo
www.dvd4arab.com

# مقدمة

أنا د . ( رفعت إسماعيل ) أستاذ أمراض الدم المتقاعد .. ومريض القلب الدائم .. والعزب الأبدى ..

أنا الذى واجه ( العساس ) .. وواجه لعنة ( شاكال ) النارية .. وضاع فى عوالم ( آلان بو ) .. وغاص فى قلب الحقيقة إلى الحدّ الذى تسمح به آدميته ..

أنا الشيخ الفانى الذى تشبه حياته ورقة فى شجرة صفصاف إبّان الخريف ..

الكل ينتظرها كى تسقط ..

الكل يعرف يقيناً أنها ستسقط ..

ناموس الحياة يقول إنها ستسقط ..

لكنها لم تسقط بعد ..!

تسألوننى عن سبب بقائى فوق الشجرة حتى هذه اللحظة .. أية فيتامينات أبتلعها ؟.. أية أطعمة أمتنع عنها ؟.. أية رياضات أمارسها ؟

أقول لكم إننى أفعل كل ما من شأنه أن يقضى على حياة سلحفاة عمرها عامان .. والتفسير الوحيد عندى هو أن أجلى لم يحن بعد ..

أجلى لم يحن بعد ..

لهذا أدعوكم الليلة - من يدرى ؟. لربما كانت الأخيرة - إلى أن تصغوا لقصة أخرى ..

يبدو أن الوقت قد حان كى أحكى لكم قصة ( المينوتور ) ..

اليوم نعود من جديد إلى عوالم ( الميثولوجيا ) الإغريقية ، وكالعادة - كما حدث مع رأس ( ميدوسا ) - لن يكون اللقاء مبهجًا على الإطلاق ..

سموه الرعب .. سموها الكآبة ..

المهم أنكم هنا .. وأنكم تتطلعون فى شغف إلى لقاء ( المينوتور ) .. لهذا دعونا لا نضع وقتًا فى ثرثرة الشيوخ هذه ..

ولنبدأ ..

* * *



# ١ - الأسطورة ..

مينوتور : ( مينوس + توروس ) فى الإغريقية . وحش يبدو نصفه كإنسان ونصفه الآخر كثور . يعيش فى المتاهة التى بناها ( ديدالوس ) لـ ( مينوس ) . كانوا يقدمون له قربانًا سنويًا من سبعة فتيان وسبع عذارى ، إلى أن قتله ( ثيذيوس ) .

[ قاموس ( وبستر ) الشامل ]

* * *

مرة أخرى نعود إلى عالم الأساطير الإغريقية المعقد المتشابك ، الرائع برغم ذلك .. والذى كون جزءًا هامًا من تكوين عقولنا ، لا ندرك أهميته إلا حين نتحدث عن بطولات ( هرقل ) .. أو نستعمل ( أطلس ) البلدان .. أو نصف فتاة حسناء فى قصائدنا بأنها ( فينوس ) .. وحتى أول مركبة فضاء لمست القمر كان اسمها ( أبوللو ) ..

فى هذه المرة سنقصد جزيرة ( كريت ) لنلقى الفنان البارع والمهندس الإغريقى الموهوب ( ديدالوس ) ..

تذكر الأساطير الإغريقية لـ ( ديدالوس ) إنه هو أول من حاول الطيران فى التاريخ ، مستعملاً جناحين من شمع .. وللأسف جرّب هذا مع ابنه ( إيكاروس ) .. ولقد انتاب الحماس هذا الأخير حتى أنه دنا من الشمس أكثر من اللازم .. وذاب جناحاه ليهوى غارقًا فى المحيط ..

كما يذكر لـ ( ديدالوس ) أنه هو من بنى ( اللابيرنث ) أو ( المتاهة ) فى ( كريت ) .. وهو الحلّ السعيد الذى وجده الرجل للتخلص من كارثة بيولوجية حطت على هذه الجزيرة ..

لقد كان لدى ( مينوس ) ملك ( كريت ) وحش من هذه الوحوش الشنيعة التى تزخر بها الأساطير الإغريقية .. ولم يكن بالتأكيد أسوأ من ( ميدوسا ) ـ التى تحدثنا عنها فى الكتيب السادس ـ لكنه كان سيئًا بما يكفى ..

كان هذا الوحش مزيجًا من الإنسان والثور .. وثمة روايات تقول : إن الثور كان هو النصف العلوى ، وأخرى تقول : إن الثور كان هو النصف السفلى .. لا يهم ..

المهم أنه كان مزعجًا ومرعبًا .. وكان يقتل كل من يدنو منه .. وبالتأكيد لم يكن صالحًا لتربيته كقط سيامى





المهم أنه كان مزعجًا ومرعبًا .. وكان يقتل كل من يدنو منه ..

أو كلب ( لولو ) .. لكن ( مينوس ) الأحمق ظن أنه من المفيد أن يحتفظ المرء بـ ( مينوتور ) فى داره .. ودفع ثمن هذه الحماقة غاليًا ..

فلما استطار شر الوحش : استنجد الملك بالمهندس الإغريقى العبقرى ( ديدالوس ) ..

ولابد أن المهندس فكر كثيرًا فى حل المعضلة .. ولابد أنه أجرى حسابات مستفيضة على آلته الحاسبة الإغريقية ـ كل شىء جائز فى الأساطير ـ ثم دسّ القلم وراء أذنه .. وقال :

ـ سنبنى ( اللابيرنث ) !

هنا لابد أن الملك تساءل فى غباء :

ـ ( لابيرنث ) ؟

ـ نعم .. ( اللابيرنث ) فى الإغريقية معناه : التيه .. سنحيط هذا الوحش بممرات معقدة . ومنحنيات . وشعاب متداخلة .. ولسوف يركض هذا الوحش بين الممرات إلى يوم يبعثون .. عاجزًا عن الخروج ..

وقد كان ..

وصار هذا ( اللابيرنث ) المعقد جزءًا من معالم ( كريت ) .. بل وصار جزءًا هامًا من ألعاب ( الكمبيوتر )



التى تدور كلها حول محاولة الخروج من متاهة . فى حين تطاردك بالداخل أشياء مبهمة لا تدرى كنهها .. لكنها تلتهم ما تراه ..

* * *

لكن القصة لم تنته بعد ..

إن الجزء السيئ منها لم يبدأ حتى هذه اللحظة ..

كان الإغريق يحقدون ويحسدون ، مثلما نفعل نحن طيلة يومنا .. ولقد بدأت المأساة بفوز ابن ( مينوس ) ملك ( كريت ) بالألعاب الأوليمبية فى ( أثينا ) ..

وإذ نوى الفتى أن يعود إلى بلاده محملا بالجوائز : استشاط ابن ملك ( أثينا ) غضبًا .. وأكل الحقد قلبه .. لذا أرسل قطاع الطرق ليهاجموا ابن ملك ( كريت ) .. ويمزقوه إربًا .. ويلقوا بجسده للسباع ..

الحق أنها كانت خيانة دنيئة حقًا ..

أما الأدهى فهو أنها وصلت بالكامل إلى أذن ( مينوس ) ، فجنّ جنونه .. وجرد جيشًا مهولا زحف به على ( أثينا ) ..

وما جاء الصباح إلا والبطاح تموج بقتلى الإغريق .. وبدأ حصار ( مينوس ) الطويل لمدينة ( أثينا ) ليرغم

أهلها على الاستسلام ، وكان الحصار مرهقًا ، شحّ فيه الماء والزّاد ..

وأرسل ( إيجوس ) إلى ( مينوس ) يعرض عليه الصلح ..

لكن الأب المكلوم فى ابنه رفض الصلح .. وقال إن كل ( أثينا ) لا تكفيه عوضًا عن ابنه ..

لكنه - لما كان رجلاً سهل الإرضاء - يكفيه أن يعود بسبعة من أجمل وأقوى الفتيان .. وسبع من أجمل العذارى .. ولسوف يأخذهم معه إلى ( كريت ) ليرمى بهم إلى ( المينوتور ) ..

ولم يجد ملك ( أثينا ) البائس سوى أن يوافق على هذا العرض ، الذى سيتكرر كل عام .. وإلا فهى الحرب ..

وعاد الكريتيون إلى جزيرتهم حاملين إلى وحشهم صيدًا ثمينًا .. يكفيه لمدة عام ..

* * *

ومرت السنون .. وأهل ( أثينا ) يدفعون الفدية عن يدٍ وهم صاغرون .. حتى ظهر ( ثيذيوس ) ..

و ( ثيذيوس ) - بالمناسبة - هو ابن الملك ( إيجوس ) من عذراء ريفية حسناء قابلها فى إحدى رحلات الصيد ..



والأخ ( ثيذيوس إيجوس ) - كما لنا أن نتوقع - هو بطل إغريقى متحمس من أولئك الذين يفتشون عن المتاعب بالمجهر ..

وهذه الشخصية ذات البعد الواحد تتكرر بإفراط فى الأساطير الإغريقية .. البطل مفتول العضلات عارى الصدر .. بسيفه البتار وغضبه الجبار .. وبحثه الدائم من أجل أن يَرِث عرش مملكة ما .. ودائمًا هو يتحرك طبقًا لنبوءة .. كلهم كذلك .. من ( أوديب ) إلى ( أخيل ) .. ومن ( هرقل ) إلى ( برسيوس ) ..

وهكذا .. تقول الأسطورة إن ( ثيذيوس ) ألحّ على أبيه فى أن يرسله إلى (كريت ) هذا العام ليكون ضمن البؤساء الذين سوف يلتهمهم ( المينوتور ) ..

« يجب أن يعلم أهل ( أثينا ) أننا نجرع ذات الكأس التى منها يجرعون .. » .

بهذا الحس الديموقراطى ركب ( ثيذيوس ) السفينة مع رفاقه ، ماخرين بحرًا [ تلاطمت أمواجه ، وزخرت أثباجه ، وطمّ آذيه ] على حدّ قول الأستاذ ( درينى خشبة ) أول من ترجم هذه الأسطورة إلى العربية ..

ولقد وصلت السفينة إلى ( كنسوس ) عاصمة (كريت ) ، ونزل منها أولئك الضحايا القادمون ..

لكن ابنة ( مينوس ) أعجبت كثيرًا بـ ( ثيذيوس ) الوسيم القوى .. ناسية - أو متناسية - أنه أخو قاتل أخيها ..

وكان أن قررت إنقاذه .. فقدمت له خيطًا قالت له أن يربطه عند بداية ( اللابيرنث ) .. ثم يدخل التيه ليلاً بينما ( المينوتور ) نائم .. فيبحث عنه ويقتله بسيفه البتار ..

بعد هذا يستطيع العودة أدراجه مسترشدًا بطرف الخيط الذى يحمله .. هكذا لن يضلّ طريقه ويموت ، مثلما يحدث لمن لم يسعدهم الحظ أن يقتلهم ( المينوتور ) ..

وقد كان ..

نجح ( ثيذيوس ) فى قتل الوحش .. وعاد ليتزوج الفتاة .. وليكون صلح بين ( أثينا ) و ( كريت ) .. وتعم السعادة البلاد ..

وهنا تنسى الأساطير الإغريقية كل شىء عن ( ثيذيوس ) ..

وننسى نحن كل شىء عن ( المينوتور ) إلا فى خيال الشعراء وعند علماء النفس .. حيث ( المينوتور ) رمز



لامتزاج البهيمية والنبل فى نفس الإنسان .. وليس الإنسان بشرًا كله ولا ثورًا كله بل ( بين بين ) ..

الآن .. نحن نعرف كل شىء عن الأسطورة ..

يمكننا أن نترك شاعر اليونان الضرير ( هيوميروس ) يعزف على قيثاره .. ونترك التيه .. ونترك ( أخيل ) .. ونعود إلى عالم الواقع ..

إلى ( كريت ) عام ١٩٦٩ ..

★ ★ ★

## ٢ ـ ما كان .. وما سيكون ..

أرقد هذه الأيام مسترخيًا ـ للمرة الأولى منذ عشر سنوات ـ أتأمل الخيوط المعقدة التى نسجها عنكبوت الأيام ، صانعًا منها نسيج ذكرياتى ..

من العجيب أن خطابات عديدة وصلتنى فى الآونة الأخيرة ، كلها من أشخاص سمعوا عنى .. ويحسَب كل منهم أنه يرى شبحًا .. أو أن جاره مصاص دماء .. أو أن عمه مذءوب ..

هناك فتيات يقسمن أن غسالة الثياب تعمل وحدها فى منتصف الليل .. وعجوز يؤكد أن الثلاجة تمشى فى الصالة عند الفجر .. وشاب واثق أن خالته لها جناحا وطواط ..

برغم كل هذا الهراء شعرت برضًا بالغ ..

فأنا ـ كما تلاحظون ـ قد بدأت أتخذ بالتدريج شكل ( وكالة أشباح ) يلجأ إليها الناس حين يشعرون بأن شيئًا ما على غير ما يُرام ..



لقد نشرت عدة مقالات عنى .. والتقت بى مذيعة شقراء تلوك اللبان على شاشة التلفزيون ..

وتدريجيًا بدأ الناس يسمعون عن ( رفعت إسماعيل ) .. بعدما كان نسيًا منسيًا لا يعرفه سوى أصدقائه .. ومن قرءوا تلك المقالة عن ( الزومبى ) فى المجلة الإنجليزية إياها ..

قد يقول بعضكم إننى لا أملك الخبرة الكافية بعد ..

لكنى أقول إن هذا صحيح فى فترة ما .. وفى ذلك الوقت كنت أردد دومًا عبارة ( لست صانع أساطير .. ربما أنا هادم لها ) .. وكانت خبرتى محدودة دائمًا ..

أما اليوم ـ حين أتأمل حياتى ـ أجد أننى قد عشت خبرات قلما تتاح إلا للأشباح .. ولم يعشها بشرى قبلى فى حدّ علمى .. وهذا يتيح لى حرية الثرثرة كما أشاء ..

أنا لست من الطراز الذى يتكلم فى أمور لا يفقه فيها شيئًا ..

★ ★ ★

والآن .. دعنا نتأمل خبراتى حتى عام ١٩٦٩ ..

١ ـ عالم مصاصى الدماء بتوابيتهم وأوتادهم وثومهم :

كانت لى معهم مغامرتان زائفتان فى الواقع .. مرة

مع أسطورة مصاص الدماء .. ومرة مع إحدى قصص ( التاروت ) .. وتعلمت من ذلك أنه لا وجود لشىء كهذا ..

٢ ـ عالم مسوخ الذئاب والقمر المكتمل وخناجر الفضة :

لم يثبت لى وجودهم قط بعد قصتى مع أسطورة المذءوب .. لكنى عرفت عنهم الكثير .. وعرفت أصل هذه الأسطورة .

٣ ـ عالم الوحوش التى لم يرها أحد :

واجهت وحش ( لوخ نس ) ، وعرفت من واجه رجل الثلوج .. وهذا كاف لأكون ذا خبرة بالأمر ..

٤ ـ عالم الموتى الأحياء والقبور المفتوحة والأطراف المتآكلة :

كان لى لقاء مع ( زومبى ) مزيفين .. وأعتقد أننى أعرف قدرًا لابأس به من الموضوع ..

٥ ـ عالم الأساطير اليونانية والحفائر :

مع رأس ( ميدوسا ) العائد ؛ واجهت كابوسًا حقيقيًا .. وبرغم أن المسألة تكشفت عن خدعة .. فإننى على استعداد تام لمواجهة الأسطورة القادمة ..



٦ ـ عالم لعنة الفراعنة والمومياوات والتحذيرات على التوابيت :

خبرتى مع مومياء الفرعون ( أخيروم ) وحارسه الذى يفتك بالعلماء ..

٧ ـ عالم النباتات المفترسة وخلافه .

٨ ـ التجسدات الميتافيزيقية التى نجهل الكثير عنها :

لقائى مع شعب الأطياف ، وحسناء المقبرة ، وأرض أخرى .

٩ ـ غزاة الفضاء والأطباق الطائرة والشهب :

لى مغامرة لم تكتمل معهم ، نموذج للكابوس المجسد .. هى أسطورة الغرباء .

١٠ ـ القدرات البشرية غير العادية :

أسطورة الكاهن الأخير .. عن محارب ( النافاراى ) الذى جاء من عالمه ليزيد الحياة تعقيدًا ..

وهكذا أستطيع القول إنه ما من مجال من مجالات دنيا ما وراء الطبيعة ؛ إلا وخبرته إلى حدٍّ ما ..

١١ ـ النبوءات الشريرة وأوراق ( التاروت ) :

يمكن القول إننى اصطدمت بها فى ( جامايكا ) وفى ( نيويورك ) .. مرة مع الأم ( مارشا ) ومرة مع د. ( لوسيفر ) .

١٢ ـ السحر الأسود :

إن خبرتى به متكررة .. مرة مع سحرة ( الفودو ) ودُمى ( الفتيش ) .. ومرة مع ( لعنة الفراعنة ) .. ومرة مع ( شاكال ) .. ومرة مع ( نوسفيراتو ) .. آه .. يبدو أننى لم أحك هذه القصة بعد ..

١٣ ـ البيوت المسكونة والبوابات الصدئة والعناكب :

إن أسطورة البيت هى نموذج جيد لبيت ليس مسكونًا فحسب .. بل هو نفسه يملك طاقة روحية عالية ..

والآن يمكننى ـ بكل تواضع ـ أن أزعم أننى قادر على الإدلاء برأيى فى أى موضوع يعرض علىّ من مواضيع ما وراء الطبيعة ..

ربما جاء رأيى خاطئًا .. لكنه ـ بالتأكيد ـ يستحق الاهتمام ..

* * *

معظم ما يصلنى من مراسلات يصلنى على عنوان العمل ، لأن أحدًا لا يعرف عنوان منزلى .. لكن الصحف حين تتحدث عنى تقول : د . ( رفعت إسماعيل ) .. أستاذ بكلية طب كذا ..

ولقد وصلنى فيض من خطابات حتى أن د . ( رأفت ) صديقى العتيد قال لى متهكمًا :



ـ إن من يرَكمَ خطاباتك يحسبك أنشأت مكتب بريد خاصًا ، مقرّه هذه الكلية ..

ـ مت بغيظك ! .

صحيح أن بعض الخطابات غير مفهوم ، وصحيح أن بعضها لا يصدَق .. إلا أن كثيرًا منها يحوى أشياء مثيرة للاهتمام حقًا ..

من ضمن هذه الخطابات كان هناك هذا الخطاب الطويل ، الذى سلمه لى باليد شاب يُدعى ( سالم محمد شحاته ) ، والذى نشرته كاملاً فى الكتيب الثامن تحت عنوان ( أرض أخرى ) ..

ولقد سلمنى خطابين آخرين بعد ذلك .. واحدًا سأنشره تحت عنوان ( أرض المغول ) ، وواحدًا تحت عنوان ( أرض العظايا )(*) .. ولا داعى لأن أقول إننى ميال لعدم تصديق هذه القصصَ التى يمطرنى بوابلها الأخ ( سالم ) ..

لكنها ـ جميعًا ـ شائقة .. وكلها تطلق عنان الخيال .. لهذا لا أرى ما يمنع من نشرها يومًا ما ..

---

(*) العظايا معناها الزواحف ..

هناك خطابات عدة بلغات أجنبية . لا أعرف أكثرها .. منها خطاب يقول لى بمودة ولطف :

ـ أردشار نور هاه تامين سيزده بدر ناكواه شيلوش ! .

وأنا أحيى هذا الأسلوب الرصين المتماسك ، ودقة الإعراب .. وإن كنت أتمنى ألا أموت قبل أن أعرف اسم هذه اللغة .. التى تأكدت من أنها ليست الفارسية ولا الإيرانية ولا الأوردية ولا الأفغانية .. ولا ....

هناك خطاب آخر كتب بحروف سلافية .. تلك الحروف التى تجعلك تقلب الورقة عدة مرات بحثًا عن الوضع الأمثل للإمساك بها .. لأنك تجد حرف ( أ ) اللاتينى مقلوبًا .. فإذا قلبت الورقة وجدت حرف ( ن ) اللاتينى مقلوبًا !.. وهكذا ..

لن أدهش لو كان هذا الخطاب من الكونت ( دراكيولا ) نفسه .. يهنئنى بعيد ميلادى ...

ثمة خطاب ثالث هو أقرب إلى الطرد .. ألصقت عليه عشرات الطوابع تحمل اسم ( هيلاس ) ـ اليونان ـ وبداخله ثلاثون ورقة من القطع الكبير .. كتب عليها بالإنجليزية ما هو أقرب إلى قصة طويلة معقدة .. وبخط صغير جدًا ..



التوقيع يحمل اسم البروفسور ( ديمتريوس كوبرانوس ) ..

ومرفق بالخطاب بعض صور غير واضحة لشىء ما .. مع أسهم باللون الأحمر توضح تفاصيل هذا الشىء ..

★ ★ ★

وفى دارى ـ مع كوب من الشاى الثقيل ـ رحت أطالع هذا الخطاب المبالغ فى طوله ..

ومرة أخرى شعرت بأننى أدخل عالم المرآة المسحور ، لأعيش فى كون آخر .. وعالم يختلف فى كل شىء عن عالمى هذا ..

وحين انتهى الخطاب .. كانت عضلات عينى ـ العضلة الهدبية بالذات ـ قد أنهكت .. وشعرت بأن عينىّ تحولتا إلى ساقىْ رياضى بعد سباق اختراق الضاحية عدوًا ..

لقد ظن هذا الـ ( كوبرانوس ) أنه يكتب فوق طابع بريد .. ومن يدرى ؟ لربما استعمل المجهر فى كتابة خطابه هذا ..

على كل حال .. أما وقد انتهى الخطاب فأنا أجده مسليًا إلى حدّ لابأس به ، وبه مسحة ما من الرعب ..

لهذا سأترجمه لكم فى الصفحات التالية ..

وكالعادة .. سأعود قبل أن ينتهى الكتيب لأعلق على هذا كله .. فذكرونى أن أفعل ذلك أرجوكم حتى يحتفظ الكتيب بطابعى ..

وفى الكتيبات القادمة سأحاول أن أنتقى لكم القصص الأكثر إمتاعًا .. لأقدمها لكم على هذه الصفحات ..

بالتالى ستستريحون من ثرثرتى لفترة لابأس بها ..، وإن كنتم ستجدون أسلوبى وسخريتى المقيتة بين السطور وفوقها .. لأننى سأعيد سرد كل شىء بنفسى ..

ترى ماذا يحمل لنا هذا البروفسور ( كوبرانوس ) من ساعات سيئة ؟

اقلبوا الصفحة إذا كان رقمها فرديًا .. أو انظروا إلى اليسار إذا كان رقمها زوجيًا .. لتروا بأنفسكم !

★ ★ ★



## ٣ ـ عودة إلى اليونان ..

عزيزى د . ( إسماعيل ) :

طالعت بفائق الاهتمام ما ورد فى مجلة ( ... ) عن مغامرتك مع هؤلاء ( الزومبى ) فى ( الكاريبى ) ، كما طالعت بشغف حكايتك مع رأس ( ميدوسا ) .. تلك القصة التى تحدثت عنها الجرائد اليونانية كثيرًا .. وللأسف كان الأمر كله أجمل من أن يكون حقيقيًا ..

أنا ـ بوصفى عالم آثار مخضرمًا ـ أعرف ( ميخائيل كاراداكس ) جيدًا ، وأعرف أنه أقرب إلى نصاب وسيم منه إلى العلماء .. وكان بإمكانى أن أريحك من تلك المأساة التى عشتها فى جزيرة ( كارادوس ) لو أننى علمت طرفًا من الموضوع ..

على كل حال يقضى ( كاراداكيس ) وزوجته الإنجليزية أعوام السجن المؤبد الآن .. ومن المؤكد أن العلم لم يخسر كثيرًا جدًا بفقدهما ..

وحين طالعت هذه القصة ؛ ظلت فى عقلى الباطن فترة لا بأس بها .. وكان طبيعيًا أن يطفو وجهك إلى سطح أفكارى حينما اصطدمت أنا بقصة جديدة من عالم ( الميثولوجيا ) اليونانية . وهى لعمرى قصة غير مبهجة على الإطلاق ..

وحين أكتب لك هذا الخطاب لا أطمع فى معونة منك .. ولا أطمع فى رأى وإن كان صائبًا .. بل أنا راغب فى أن تعيش معى هذه التجربة الغريبة . وأن تثرى فهمك لعالم ما وراء الطبيعة كما أثريت أنا فهمى .. إن الإنسان هو حشد من خبرات من سبقوه .. وأنت حين تقول عبارة مثل : دخلت دارى فأضأت المصباح الكهربى ، وخطوت إلى الثلاجة فتناولت قدحًا من الماء . وفتحت التلفزيون . حين تقول هذا .. فلا تنس أن أجيالا ماتت وهى تقاتل من أجل ابتكار المصباح الكهربى .. وأجيالا قاتلت من أجل اختراع الثلاجة .. وعقولا لاحصر لها كادت تنفجر وهى تحاول ابتكار التلفزيون ..

إن الإنسان هو تجارب من سبقوه .. ولو لم تصلنا خبرات كل هؤلاء لنأخذها أو نضيف إليها ؛ فأين كنا



سنكون اليوم ؟! مقدمة طويلة هى .. متحذلقة ربما .. لكنى لا أجد طريقة أخرى أبرر بها كتابة خطابى الطويل هذا لك ..

وغدا ستعرف عن ( المينوتور ) قدر ما أعرفه أنا .. برغم تباعد بلدينا واختلاف لسانينا ..

أليس هذا فاتنا ؟.. أليس هذا ساحرًا ؟

* * *

اسمى ( ديمتريوس كوبرانوس ) .. أستاذ فى علم الآثار .. وبالطبع أنا مهتم بالآثار ( الهللينية ) .. أبلغ من العمر خمسين عامًا .. متزوج ولى طفلة جميلة تدعى ( ميليسا ) .. وهذا يعود لأننى تزوجت فى سن الأربعين .. السن التى يتزوج فيها كل من يخشون الزواج ويخشون الوحدة كذلك ..

صفاتى الجسدية قد لا تعنيك كثيرًا .. لكنى - ليسهل التخيل - قصير القامة للغاية .. متضخم الرأس .. أميل إلى الهزال .. أدخن الغليون طيلة الوقت ليكتمل مظهر العالم الذى أصبو إلى أن أكونه .. من يعرفوننى يقولون إننى هادئ الطباع .. أقرب إلى الخجل والبعد عن الآخرين . وأنك تحتاج إلى وقت لابأس به كى تكسر أسوار تحفظى ..

من يدرى ؟.. ربما كان هذا التحفظ درعًا أقى به نفسى سخرية الآخرين من غرابة منظرى .. وأعترف هنا أنك لا تستطيع الكلام معى دون أن تحنى رأسك .. ولا تستطيع أن تمنع ابتسامة سخرية على شفتيك .. قد تتدارك الأمر فتجعلها ابتسامة تلطف ..

لا أدرى ما جدوى هذه التفاصيل بالنسبة لك .. لكنها على الأقل ترسم الجو المحيط بى كاملاً ، وتجعلك ترانى بدلاً من أن تسمعنى فحسب ..

* * *

نحن الآن فى ( كريت ) ..

لابد أنك تعرفها إلى حدّ ما ، من مغامرتك السابقة التى كانت قريبة منها .. جزيرة البحر المتوسط الهادئة التى تقع جنوب بحر ( إيجه ) .. حيث نشأت أول حضارة غربية على الإطلاق وهى حضارة ( المينو ) ..

عاصمة ( كريت ) الغابرة التى كانت مزدهرة منذ خمسة عشر قرنًا هى ( كنسوس ) .. وهى المكان الذى ستدور فيه قصتنا ..

ماذا بوسعى أن أقول أكثر عن ( كريت ) ؟..

إنها أكبر جزر اليونان .. تمتد الجبال بها من الشرق إلى الغرب .. لها سهول ساحلية ضيقة .. ويعيش بها



رعاة خشنون .. ولا تنتج الجزيرة سوى النبيذ وزيت الزيتون ..

إلى هذه الجزيرة البائسة وصلت وأسرتى الصغيرة ، وفريق مكون من رجلين ( باسيلوس ) و ( ستافروس ) .. وكلاهما يعمل بالآثار اليونانية مثلى ..

واستقررنا فى خان صغير بالبلدة ، وجندنا بعض سكان الجزيرة ليكونوا عمال حفر لنا .. ولم يكن هذا عسيرًا ، لأنهم اعتادوا مجىء هؤلاء المخابيل من ( أثينا ) الذين يحفرون الأرض .. ولا يتركون حجرًا فوق حجرٍ كأنهم خلدان مسعورة ..

والمحصلة دائمًا هى رأس مهشم لـ ( أبوللو ) أو ذراع مفككة لـ ( فينوس ) .. أو رمح صدئ ..

ثم يعود المخابيل إلى ( أثينا ) وتنتهى الضوضاء إلى حين .. وبعد شهور يوضع الرأس فى المتحف اليونانى ، وجواره بطاقة تقول إنه ( رقم ٣٢١٦٧٢ ـ أ ) و ( من حجر البازلت ) .. ثم ينسى الأمر برمته ولا يهتم به أحد ..

هذا هو عملنا .. ونحن لا نتذمر ..

لكننا اليوم نشعر بأننا مقبلون على كشف هام نوعًا ..

* * *



وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ..

تسألنى عن كنه هذا الكشف .. وعن العلامات التى أنذرتنا به .. أقول لك إن جميع الدلائل توحى بهذا :

١ ـ المنطقة التى نعمل بها فى ( كنسوس ) لها تاريخ حافل حقًا .

٢ ـ يتحدث الأهالى عن ( شىء ما ) يحدث هنا .

٣ ـ وجدنا على حدود المنطقة أكثر من لوحة حجرية كُتب عليها حفرًا : ابتعد عن هنا أيها الغريب .. وكان جميعها مدفونًا تحت أطنان من الغبار .

٤ ـ وجدنا جزءًا من جدار كتب عليه اسم ( مينوس ) ، وهو ملك أسطورى لـ ( كريت ) لا نعرف عنه شيئًا إلا من الأساطير الإغريقية .

٥ ـ هذه المنطقة بكر تمامًا ، ولم يعبث بها معول الباحثين على النقيض من باقى أجزاء ( كريت ) . التى تحولت إلى مزار للأرانب البرية من كثرة الحفر .

والآن تم اتخاذ القرار بأن نبدأ الحفر فى منتصف القطاع تمامًا .. عند مركز الدائرة التى تنتثر اللافتات على حدودها .. وبدأنا العمل فى يوم قائظ ..

يوم من تلك الأيام التى تشعر فيها بأن الحرّ يحرق روحك ، ويبخر الهواء من رئتيك قبل أن تتنفسه ..

الرجال الأشداء نزعوا قمصانهم وراحوا يهوون بالمعاول فوق الصخور الجيرية التى تشكل أكثر مساحة ( كريت ) .. ومن حين لآخر يُصاب أحدهم بضربة شمس فيقىء وينهار .. أو يوشك على الموت ..، ويهرع آخر ليجرع الماء ويبتلع بعض الملح .. ويخرج آخر زجاجة ( نبيذ ) يرشف منها رشفة على أمل أننى لا أراه ..

أحيانًا يتبادلون السباب باليونانية الفجة .. أو يتبادلون نكاتًا بذيئة لا ألومهم عليها كثيرًا ، وَأدير بصرى فى مساعدىّ ( باسيلوس ) و ( ستافروس ) .. وهما نقيضان فى كل شىء ..

( باسيلوس ) نموذج للشاب المتحمس المندفع .. الفخور بوسامته .. والذى لا يرحم مرءوسيه ، ويرى دومًا أنهم لا يقدمون أقصى ما عندهم.. وأنهم شرذمة من الكسالى ..

إنه ذلك الطراز من البشر الذى لا يخشى - بل ويسره - أن يكون مكروهًا ، وأن يرى نظرات المقت فى عيون من حوله ، لسان حاله يقول - مثل ( راسبوتين ) - إنه كلما كثر أعدائى ازددت قوة ..

أما الآخر - ( ستافروس ) - فهو رقيق إلى حد الأنوثة .. رحيم إلى حد الخنوثة .. من طراز الشباب



الذين أعدهم أهلهم لعالم لا وجود له .. عالم مفرداته هى ( من فضلك - عفوًا - أستميحك عذرًا - شكرًا ) .. وتكوينه الجسدى مقارب لتكوينه النفسى ..

فهو بدين نوعًا .. متراخ .. تشعر حين ترى عينيه أنه يوشك على السقوط غافيًا فى أية لحظة ..

ووجهه - الخالى - من الخشونة الرجولية - أقرب إلى وجه بقرة مسترخية راضية بما حولها من عشب ..

لكنه - أشهد - يملك عقلاً راجحًا يفوق بمراحل عقل زميله الذى يشبه الطاووس ، ولا يفوقه ذكاء ..

بهذه المجموعة الشاذة بدأت عملية التنقيب بحثًا عن ... عن ماذا ؟.. عن شىء ما ...!..

★ ★ ★

عندما تزايدت حرارة المناخ ، وعندما ازداد عدد الإغماءات .. وازداد بحر القىء حتى كاد يغرقنا ؛ أمرت بتأجيل الحفر إلى المساء حيث الأنسام الرحيمة .. وعلى ضوء المشاعل ..

فما دمنا لا نطارد أرنبًا بريًا .. لا أرى ما يمنع من التوقف برهة ..

وجاء المساء ..

المشهد يبدو كحلم ملون آهواه كثيرًا .. مشهد الرجال وقد امتزجوا بالظلام وضوء اللهب . وهم يحاربون الصخور ..

صحيح أن البعوض يجعل منا الطبق الرئيسى فى وجبة عشائه .. وأن الثعابين تداعب أقدامنا .. وأن العقارب تتذمر من تلويثنا لبيئتها فى ساعات نزهتها الليلية ؛ لكننا نستمتع بالحفر الليلى دون شك .. خاصة مع أغانى الرجال الغريبة على أذنى ..

الحفرة تتسع ..

وأدنو منها لألقى نظرة مدققة .. ثم أضىء كشافى وأتأمل جوانبها ... ويدنو ( ستافروس ) منى ليرى ما أراه ..

- من المؤكد أن هناك شيئًا ما هنا .

- هذا محتم .. هذه الجدران المهدمة تؤكد ذلك ..

كانت هناك فتحة .. والفتحة تبدو كأنها فى سقف ما .. ونحن الآن نقف فوق هذا السقف .. نرنو لأسفل عاجزين عن رؤية ما يدور بالداخل ..

أشرت للرجال كى يوسعوا الفتحة أكثر .. فتذمر أحدهم من أن الوقت متأخر بما يكفى .. وهم يعملون طيلة النهار و ... قاطعته صائحًا :



- أنا لن آخذ من وقتكم أكثر من ربع ساعة ..

- إن الأجر الذى ....

وهنا تدخل ( باسيلوس ) فى كبرياء ، ليزجر العامل ويزجرنى معه دون قصد :

- هيه !.. لا تدلله يا بروفسور .. ولا تتوسل إليه .. أنا أعرف هذا الطراز من القوم .. يريد الانصراف ليلحق بالحانة مبكرًا ، حيث يحسو لترين من ( الأوزو ) .. ثم يعود لامرأته ليوسعها ركلاً وصفعًا حتى الصباح .. ويجىء منهكًا ليعلن أنه بحاجة للراحة !..

نظر له العامل فى غلٍّ ، وارتسمت بسمة شريرة صفراء على وجهه ، وأقسم إنه كان خليقًا بتهشيم رأسه الجميل بالمعول لو كان تهشيم الرءوس حقًا مشروعًا للإنسان ..

أشرت للعامل أن ينصرف .. ويعاود الحفر ... ثم استدرت إلى ( باسيلوس ) لأصارحه محنقًا برأيى :

- إن هؤلاء القوم فقراء يا ( باسيلوس ) ، لكنهم لم يخسروا روحهم بعد .. فلا تفرط فى إهانتهم معتمدًا على حاجتهم للمال ..

- حسن سيدى .. لكن بعض الحزم ....

هنا صاح ( ستافروس ) :
- هل يكفى هذا القدر يا بروفسور ؟
نظرت إلى الحفرة .. دنوت منها وسلطت الكشاف على قاعها .. وابتعلت ريقى ..
- هل هذا كاف ؟ .
سألنى ( باسيلوس ) من وراء ظهرى ..
لكنى لم أردَ عليه ..
كنت شارد الذهن أرمق القاع ..
هل أنا واهم أم أننى أرى عظامًا آدمية مكدسة هناك ؟!...

★ ★ ★



# ٤ - التيه ..

بالتأكيد هى عظام ..
وبالتأكيد هى آدمية ..
لكن كشفًا كهذا ليس فريدًا فى عالم الآثار .. فالعظام ذاتها آثار مهما اختلفنا حول هذا الرأى أو ذاك .. المهم هو ما بداخل الحفرة ..
وحول ضوء المصابيح رحنا نتجادل باحثين عن السياسة المثلى للتعامل مع هذا الكشف ، الذى قد يقودنا إلى آفاق أرحب ..
ورأينا أن أصوب الحلول هو أن نعود إلى ديارنا ، وفى الصباح الباكر يتدلّى أحدهم من الفتحة بحبل ليرى ما يدور بالداخل ..
هل هى مقبرة ؟ لا أتوقع ذلك .. فالمقابر لها تصميمها ، ولها رائحتها ، ولها طابعها الذى لا يعجز عن تبينه عالم آثار أو حانوتى ..
من يدرى ؟ لربما كان هذا بيتًا أو قصرًا مغمورًا ..

غفل عنه الزمن ردحًا .. ثم شاء حظه العاثر أن نجده نحن ..

على كل حال .. سنعرف هذا غدًا ..

★ ★ ★

عدت إلى الخان .. إلى غرفتى الصغيرة هناك ؛ حيث كانت زوجتى ( هيلين ) جالسة تحيك شيئًا ما على الأريكة .. وابنتى ( ميليسا ) تتسلى برسم شىء ما على الورق المتناثر على الأرض ..

إن ( هيلين ) تصغرنى بخمسة وعشرين عامًا .. وأعتقد أن ما يربط بيننا هو ما يسمى بالحب .. فالشىء الذى يدفع شابة حسناء مثلها إلى أن تتزوج رجلاً غير ذى مال ولا وسامة ولا قوة ؛ لهو شىء غير مادى بالتأكيد .. وأعتقد أنه أقرب إلى لفظة ( حبّ ) ..

لكنها لا تبدى هذه العاطفة أبدًا .. وتعاملنى معاملة رسمية متحفظة جافة ، كتعامل الرجال المهذبين مع الغرباء ..

أما طفلتى ( ميليسا ) فهى شىء رائع .. شقراء كعذارى ( الأوليمب ) زرقاء العينين كـ ( فينوس ) - لو كانت ( فينوس ) زرقاء العينين - وهى تحبنى دون



تحفظ .. وهذا هو أجمل ما فى الأطفال .. الحبّ يُعطى دون ثمن ولا تحفظ .. ويُعطى كثيرًا جدًا ...

- عمت مساء يا ( هيلين ) ..

- مساء !..

هذه هى تحية المساء التى اختصرتها إلى أقصى حدّ ممكن .. فلو أنها استطاعت الاكتفاء بالهمزة لفعلت .. وكما ترى فالثرثرة ليست من عيوب زوجتى .. وهى كذلك لا تفرّط فى واجبها ..

- العشاء على المنضدة ..

فأذهب إلى هناك ، وأرفع الغطاء المصنوع من قشّ مجدول .. لأجد بعض الشطائر وحبيبات الزيتون ، أعدتها لى على عجل فى مطبخ الخان .. أجلس لألتهم هذه الوجبة الهائلة .. وبالسكين أقتطع بعض شرائح الخبز أدسها فى فمى وأرشف بعض ( الأوزو ) ..

★ ★ ★

( ديمتريوس ) .. لا تنم أرجوك .. لا تغلق عينيك ...

★ ★ ★

( ديمتريوس ) .. أشعر بأننى كلب أليف فى الدار ينتظر عودة سيده ليلاً ..

★ ★ ★

( ديمتريوس ) .. أنت لم تحقق شيئًا ولن تحقق .. خمسون عامًا من الدوران كالذبابة فى غرفة موصدة .. وغدًا يفتحون النافذة لتحلق منها نحو الأبدية .. غير تارك فى الغرفة سوى صدى أزيز جناحيك ..

★ ★ ★

يمكننى غدًا - أو بعد غد - أن ألعب دور الزوج المحب ، أما الآن فأنا لا أصلح لأى عمل سوى النوم ثمانى ساعات متواصلة .. للأسف نحن محرومون من الاستحمام فى هذا الخان لأنه - ببساطة - لا يوجد مكان يصلح لهذا .. ولا سبيل أمامنا سوى الذهاب إلى العجوز ( إيرين ) للاستحمام عندها مقابل دراخمتين أو أكثر ..

وكذا ترانى يا د . ( رفعت ) راقدًا فى الفراش على ظهرى .. وصدرى يعلو ويهبط .. وغطيطى يعلو ويخفت .. وأحلم ..

أحلم ببئر مظلمة لا ينيرها سوى شعاع كشاف ، وعظام آدمية تتكدس بلا عدد .. بلا عدد ...

★ ★ ★

فى ضوء النهار الفتىّ الذى لم يعلموه الغلظة بعد .. أقف وسط الرجال أرمق البئر التى حفرناها فى الظلام أمس ..



ولم أر فى هذه المرة شيئًا غير عادى .. فما هو الطريف أو الجديد فى بئر تعلو بناء غامضًا ، وتبطن العظام أرضيتها ؟!

نظر ( باسيلوس ) إلى الرجال نظرة صارمة .. وفى اشمئزاز طلب منهم أن يجلبوا السلم المجدول من الحبال ..، ثم راح يشرف على تثبيته إلى وتدين على جانب فتحة البئر ..، ومدّ يده يدفع السلم لينحدر عبر الفتحة حتى لامس القاع ..

وبحركة درامية لا داعى لها على الإطلاق .. نظر نحوى .. وهزّ رأسه طالبًا أن أتمنى له حظًا سعيدًا .. فهززت رأسى كأننى ( البابا ) يدعو له .. وعلى الفور راح يهبط لأسفل فوق درجات السلم ...

دنا ( ستافروس ) من خلفى .. ليتأمل المشهد وهو يلهث كالخنزير .. ثم غمغم :

- فتى شجاع .. لكن الموقف لا يستحق كل هذا المناخ الدرامى .. إنه لا يضحى بنفسه إلى هذا الحدّ الذى يتظاهر به .

قلت وأنا أشعل غليونى :

- هذا الفتى يعيش حالة عشق مبرّح لذاته .. عشق يصل إلى حد البكاء .. وأنا واثق أنه هو وهو سعيدان معًا إلى أقصى حدّ ..

وفجأة سمعنا نداء مزمجرًا قادمًا من البئر .. فهرعنا لنرى ما هنالك ..

كان صوت ( باسيلوس ) يصيح بى من أسفل :

- بروفسور !.. هلا نزلت إلى أسفل معى ؟.. تعال ومعك ( ستافروس ) !..

تبادلت و ( ستافروس ) نظرة متسائلة ..

ثم شرعت لاهثًا أنزل درجات السلم والغليون فى فمى .. حتى شعرت بأننى أختنق .. بالواقع لم أعد أملك أى نوع من اللياقة البدنية .. وتلانى المترهل ( ستافروس ) الذى لم يكن أفضل حالاً ...

كان ارتفاع الأرض عن قاع الحفرة خمسة أمتار .. لكنها بدت لنا كأنما نهبط من فوق جبل ( كليمنجارو ) ..

وعلى الأرض كان ( باسيلوس ) يقف مبتسمًا .. عاقدًا ذراعيه على صدره .. وقد وضع الكشاف الذى يحمله على الأرض لنرى موطئ قدمينا ..



نزلنا نقف جواره . وعلى الفور فهمنا سرّ ندائه .. وسرّ انبهاره .. لقد كان المكان الذى يقف به ممتدًا إلى مسافة لابأس بها .. جداران قائمان بدا عليهما القدم يشكلان دهليزًا .. وفوق الرءوس نرى ضوء الشمس يتسرب من الفتحة التى منها نزلنا ..

- أتريان ؟ هذا نفق ..

أعدت إشعال غليونى .. وتأملت الموقف :

- هذا حق .. ولكن إلى أين يؤدى ؟

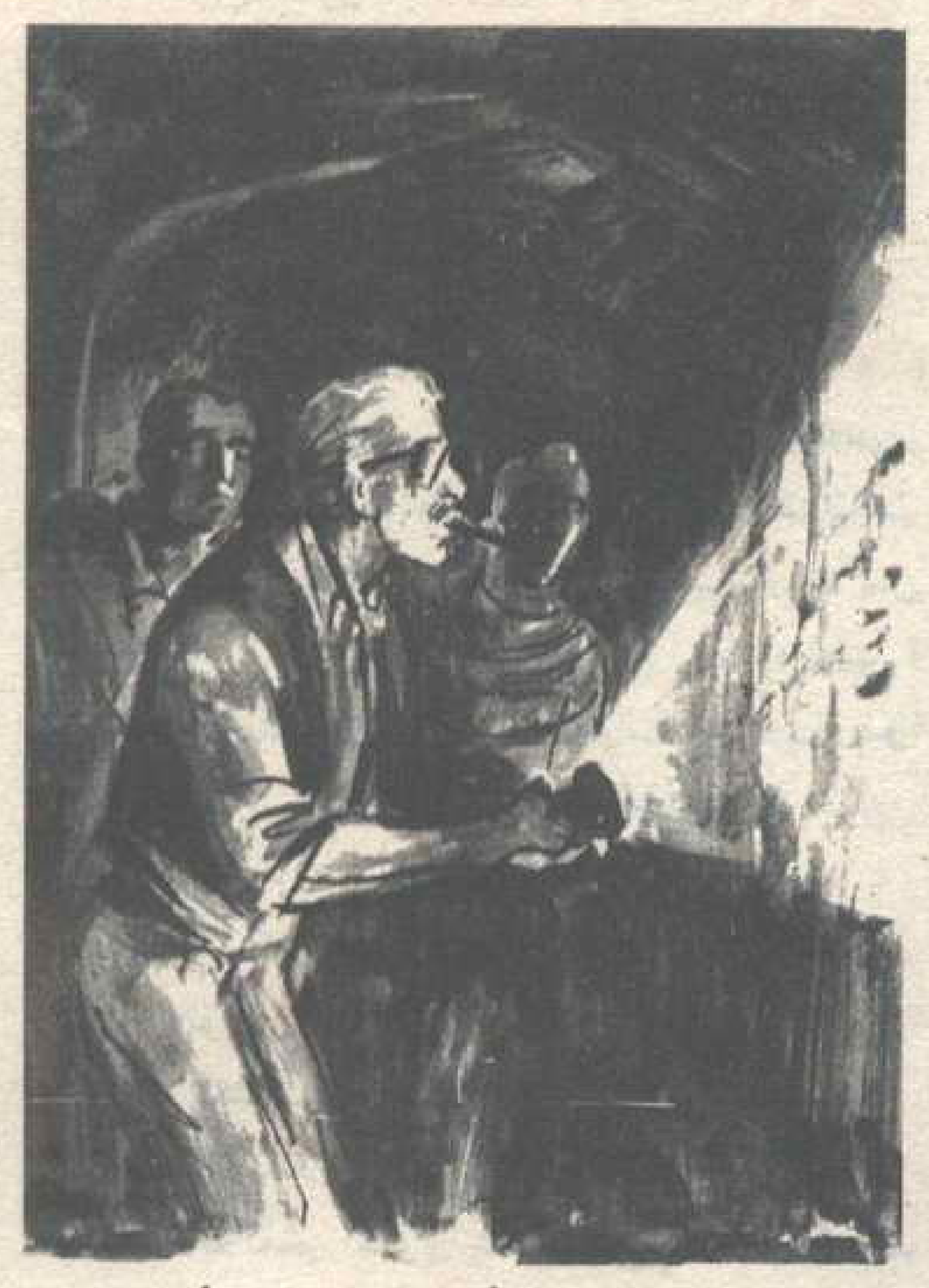
- ربما إلى مقبرة ؟

وتأملت الأرض التى نقف عليها .. كانت من الحجر الصلد .. وقد تكدست فوقها العظام التى رأيناها من أعلى ..

بالواقع كانت العظام متناثرة هنا وهناك .. فى كل مكان تقريبًا داخل هذا النفق الغامض ..

ولكن من أين جاءت ؟.. لو كانت هذه مقبرة فالمفترض أن تتواجد العظام فى شكل منسق بهيج . فوق رفوف محفورة بالجدار أو فى صناديق خشبية متآكلة ..

أما أن توجد هكذا كأن هناك من عبث بها وبعثرها ؛ فأمر لا أفهمه ولا أستسيغه البتة ..



ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كأنما هناك يد قد رسمتها بـ (الطبشور) ..

رفعت الكشاف إلى أعلى مرسلاً الشعاع إلى نهاية النفق الذى نقف فيه ، فرأيت جدارين يمتدان إلى بعيد ، ثم يذوبان وسط الظلمة التى لم يستطع الشعاع أن يبددها ..

ـ هلما يا فتيان لنرى ما هنالك ..

وبدأت المشى بخطى مترددة ..

غريب هو هذا الشعور الذى لا يوصف ، والذى يداهمنى كلما مشيت فى مكان لم يدخله سواى .. أو لم يدخله سواى منذ زمن سحيق .. إن الجدران تكتسب عندئذ شخصية مهيبة صموتًا .. وأكاد أشعر بها تراقبنى ، وتحصى أنفاسى ، كأنما تحاول سبر غور هذا الدخيل .. مثلما يحدث فى الأفلام الرديئة عندما يدخل غريب إلى حانة يملؤها الرعاع .. فيتوقفون عن الثرثرة والضحك .. ويثبتون عيونهم عليه فى فضول وتحدٍ .. محاولين أن يقوّموا وزنه ..

هذه الجدران معادية .. أكاد على هذا أقسم ..

ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كأنما هناك يد قد رسمتها بـ ( الطبشور ) ..

وبصعوبة تبينت حروفًا يونانية كتبها أحدهم ..

هذه الحروف تقول :

يـ ... ن ... تـأ ... ون ... بـ ... دى ... اتر ...
وا... مل ور ... عكم ... .

مال ( باسيلوس ) يتأمل الكتابة على ضوء الكشاف ... وفى وقاحة غمغم . وهو يلوك قطعة اللبان :

ـ هذا المعتوه كان يهوى الكلمات المتقاطعة ..

ارتجف ( ستافروس ) . ومسح جبهته بيده .. وهمس :

ـ بل هو تحذير على طريقة ( دانتى ) .. لقد تخيل ( دانتى ) أن الجحيم قد كتبت على بابه عبارة يا من تدخلون هنا .. دعوا خلفكم كل رجاء .. هذه العبارة لابد أنها تقول : يا من تأتون بعدى .. أتـ ... اتركوا وراءكم الأمل .. أو شيئا من هذا القبيل ..

هز ( باسيلوس ) رأسه فى ملل .. وقال :

ـ إذن هو معتوه وشاعر .. لقد بدأ هذا يثير اهتمامى ..

ـ دعنا نواصل الفحص ..

ورفعت الكشاف .. ورحنا نشق الظلمات بشعاعنا .. فكلما زالت الظلمة وجدنا المزيد منها بانتظارنا ..

لابد أننا لم نمش سوى عشرة أمتار . حين توقف ( ستافروس ) وأشار إلى جدار يسد النفق أمام وجوهنا ،



عاكسا ضوء الكشاف كأفضل ما يكون . حتى تبدد الظلام تماما .. وهتف :

ـ يبدو أن هذه نهاية المغامرة ..

لكننى دنوت من الجدار .. ونظرت إلى اليمين .. وإلى اليسار ..

كان هناك نفق يمتد يمينا .. ونفق يمتد يسارا .. وكلا النفقين يعانى من قبضة شياطين الظلام ..

ـ فلنر ما هنالك يا بروفسور ..

ـ لا داعى يا شباب ...

ونظرت لهما باسما .. وانتزعت الغليون من فمى :

ـ أعتقد أن هذا هو ( اللابيرنث ) الأسطورى .. لقد وجدناه أخيرا ... !..

★ ★ ★

## ٥ - أشياء غير مألوفة ..

أنت مثلى يا د . ( رفعت ) تفهم سحر المجهول وبريقه .. ورهبته ..

القشعريرة المقدسة التى تغزو عمودك الفقرى ، كلما فكرت فى ثلوج ( الهيمالايا ) .. أو أعماق المحيط المظلمة .. أو غابات ( الملايو ) التى لم يجرؤ إنسان على اجتيازها ...

أنت تفهم هذا .. ولسوف تريحنى من عبء الكلام عنه ..

أنت تفهم هذا .. لذا لن أطيل فى وصف هذه الجزئية ..

* * *

- ( اللابيرنث ) ؟.. تعنى التيه الذى قام ( ديدالوس ) ببنائه من أجل ( مينوس ) ؟

- بالتأكيد .. إن الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء كى نعرف أن هذه الممرات متشعبة إلى حد لا يُصدَق ..



يوجد بناء أثرى واحد يحمل هذه السمة وجميعنا يعرف اسمه ..

ثم إننى رفعت رأسى للسقف .. وهتفت بصوت مجلجل :

- أيها السيدان .. إن التاريخ يُصنع ها هنا ..!..

انحنى ( ستافروس ) يتأمل الأرض .. ثم جثا على ركبتيه وأمسك قطعة ملساء من العظام .. عظمة ساعد هى حتمًا .. وتساءل :

- سيدى .. هل تعنى أن هذه العظام هى ..

- نعم .. هى ....

- عظام ضحايا ( المينوتور ) ؟

- حتمًا .. وإلا بِمَ تفسر تبعثرها فى كل موضع بهذه الكيفية ؟ لو كانت هذه مقبرة لوجدنا العظام مرتبة .. ولو كانت مقبرة وسطا عليها اللصوص فكيف خرجوا ؟

نظر لى ( باسيلوس ) وبصق قطعة اللبان .. ثم حك رأسه فى حيرة .. وقال :

- لكننا جميعًا نعرف أن هذه أسطورة ..

قلت فى صبر :

- ( المينوتور ) أسطورة .. هذا رأى يحتمل الصواب والخطأ .. من الممكن أن يكون أسطورة .. لكن

( اللابيرنث ) حقيقة .. وقد تم إقحام الأسطورة عليها ... مثل قصة ( أوديب ) مع ( أبو الهول ) .. القصة مختلقة لكن ( أبو الهول ) حقيقة واقعة(*) .. ولقد نشأت كثير من أساطير البشر بهذه الكيفية .. لكنى - برغم ذلك - لا أرى ما يمنع من أن يكون ( المينوتور ) حقيقيًا ..

جلس ( ستافروس ) على الأرض متربعًا .. وهو ما زال ينهو بالعظمة شارد الذهن .. ثم قال :

- والآن .. ماذا سنفعل ؟.

قلت وأنا أشعل غليونى الذى انطفأ ثانية :

- لا شىء .. نغادر هذا النفق .. ثم نعود وفى نيتنا ألا نضلّ الطريق بداخله .. ومعنا ما يلزم من حبال وأجهزة اتصال لاسلكية ومعاول .. وبعدما نتحقق من أننا وجدنا شيئا هامًا : يمكننا إبلاغ هيئة الآثار فى ( أثينا ) .. إذ يبدو لى أن هذا التيه أكبر من قدراتنا ..

نهض ( ستافروس ) وتثاءب .. فرمقه ( باسيلوس ) فى اشمئزاز .. وسمعته يغمغم فى حنق :

---

(*) المواجهة الشهيرة بين ( أوديب ) والوحش المصرى الذى له رأس امرأة وجسد أسد .. لقد وجه الوحش سؤالا عسيرًا لـ ( أوديب ) . لكن هذا أجاب عنه .. من ثم تحول الوحش إلى تمثال عملاق ..!



- كيف يمكن للإنسان أن يكون خنزيرًا كسولا إلى هذا الحدّ ؟

لم أعلق .. بينما نحن عائدون إلى الفتحة التى نزلنا منها .. ورحنا - بعناء كثير - نتسلق السلم الليفى إلى أعلى ..

وفى الخارج كانت الشمس الحارقة تشوى الموجودات بلا رحمة .. وكان الرجال مبعثرين وقد سكب بعضهم الماء على رأسه .. أو رقد عارى الجذع تحت قطعة قماش يحاول أن يجد تحتها ظلاً ..

ولم يبد واحد منهم أى فضول لمعرفة ما وجدناه ، فالفضول لم يك قط من مزاياهم ولا عيوبهم ..

أصدر ( باسيلوس ) بتعال تعليماته لهم أن يعودوا لديارهم حتى إشعار آخر .. ثم راح و ( ستافروس ) يدقان بعض الأوتاد المعدنية حول فتحة البئر التى عرفنا الآن أنها ثقب فى سقف التيه ..

وقاما بربط حبل غليظ ما بين الأوتاد وبعضها ، ليكون سورًا يحجب الأطفال والفضوليين من السقوط فى البئر ..

أما وقد تم هذا .. فقد انتصف النهار ، وحان وقت العودة إلى ديارنا .. أعنى غرفاتنا ..

* * *

فيما بعد عرفت ما يلى :

لقد عاد ( باسيلوس ) إلى غرفته فى الخان .. ونزع ثيابه شاعرًا بالضيق لكون الحمام غير متاح .. لكن الأمر عاجل .. فقد تحول شعره إلى عجينة من التراب والعرق ، لذا قام بالأسلوب العملى الوحيد ، وهو أن يستحم مستعملاً قصعتين .. واحدة يملؤها بالماء .. والأخرى يقف فيها كى لا يغرق الماء الأرضية ، وبكوز صفيحى صدئ يسكب الماء فوق رأسه وباليد الأخرى يفرك قطعة الصابون على جسده ..

وفى رضا راقب الماء المتسخ الذى تساقط من عليه .. شعور ممتع هو أن يعرف أن هذه الأقذار لم تعد تكسوه ..

ارتدى الروب وراح يتأمل فى إعجاب صورته فى المرآة ..

وهنا دق الباب .. ورأى خيالاً مألوفًا يحمل عشاءه منعكسًا فى المرآة .. هذه هى ( إيزبيا ) ابنة صاحب الخان .. وهى فتاة تملك قدرًا متواضعًا من الجمال .. لكن لا يمكن وصفها بالقبح .. إذا تجاوزنا عن عرج بسيط ..



تعسة هى .. بائسة .. يسهل على من يعرف النساء أن يعرف أنها تحب .. وبالطبع هو حبٌ غير موفق بحال ..

ـ هوذا عشاؤك ..

قالتها . ووقفت جواره صامتة تتأمله ، إذ يحدق فى المرآة ..

ـ هل تريدين شيئًا ؟

لاذت بالصمت .. لثوان .. ثم تهانفت .. ودفنت وجهها بين خصلات شعرها الأشقر .. ومن كيانها تصاعد صوت نهنهة ..

فى نفاد صبر سألها :

ـ ألن تكفى عن هذا الهراء ؟

ـ بلى .. بلى .. سأكف ..

وازداد صوت النهنهة المتصاعد منها ارتفاعًا .. أردف ( باسيلوس ) :

ـ لا أدرى لمَ تأخذين الأمور على هذا المنحى .. إن الرجال يروحون ويجيئون .. فلماذا أكون أنا وحدى المسئول عن تعاستك ؟ صه !.. لا تقولى شيئًا عن

الحبّ .. فأنا لن أمنح عواطفى لإبنة صاحب خان أبدا .. ولقد تدنيت كثيرًا حين أبديت لك لطفا .. لكن القصة قد انتهت الآن يا فتاة .. ولا داعى لأن تفسدى فصولها الأخيرة ..

ـ لكنى أحبـ ...

رفع إصبعه محذرًا وعلى وجهه تقطيبة جادة :

ـ صه !.. هأنتذى تعودين إلى لفظة الحبّ .. ولا أدرى حقًا ما هو هذا الحبّ الذى تثرثرين به .. انظرى لهذا الحساء ...

ومدّ الملعقة الصدئة فملأها من طبق الحساء .. ورفعها لفيه :

ـ أنا أحبّ هذا الحساء .. والآن .. سلورب !.. لقد شربت ما بطبقى .. ولم أعد أحبه .. الأمر كهذا ودون تعقيدات ..

توقفت الفتاة .. وحاولت أن تقول شيئا ، بينما ( باسيلوس ) يلوك ما بالحساء من بصل وهو يرمق صورته فى المرآة دون أن يحرك ساكنا .. وفى اللحظة التالية هرعت الفتاة مغادرة الحجرة ..



موقف قاس ـ خطر له هذا ـ لكنه ضرورى .. وهذا هو قدره .. كلما وجد فتاة أمامه ظلّ يلاحقها .. حتى إذا هامت به حبًا صارحها بأنها غير جديرة به .. موقف قاس واجهه مرارا .. لكنه ضرورى .. فلو أن أحدًا ترك لأولئك الفتيات الحبل على الغارب ، فماذا يبقى من ذاتيته ؟ وماذا يبقى من حريته ؟

لكن هذا الحساء لذيذ الطعم حقًا .. !

★ ★ ★

فيما بعد ـ أيضا ـ عرفت ما يلى :

كان ( ستافروس ) فى تلك الأثناء جالسًا فى حجرته ، يدون التقرير اليومى عن نتائج الحفر .. حين دق الباب .. ورأى تلك الفتاة الرقيقة ( إيزبيا ) ابنة صاحب الخان ، تدلف إلى الغرفة لتضع عشاءه على الخوان .. ثم تهم بالانصراف .. فناداها :

ـ ( إيزبيا ) .. انتظرى لحظة من فضلك ..

فتصلبت الفتاة بحركة آلية .. ووقفت تنتظر ..

تأمل وجهها .. وأدرك ما هنالك :

ـ أنت كنت تبكين ؟!

لم تجب .. لكن العبرات تزداد غزارة كلما سأل الحمقى عنها .. وكانت إجابة كأبلغ ما يكون .. من ثم عاد يتساءل :

- هل هو ( باسيلوس ) اللعين ؟.. هل آذاك ؟

- كثيرًا يا سيدى .. كثيرًا !..

قالتها بصوت مخنوق .. وقبل أن يسألها عن المزيد كانت قد غادرت الغرفة ..

يا لـ ( باسيلوس ) اللعين !.. لقد اعتاد ( ستافروس ) أن يجد الخَير نقيًا فى أشرّ الناس طرًا .. وأن يجد الشرّ فى ذوى النبل والصلاح .. إلا ( باسيلوس ) .. هذا الوغد هو شرّ مطلق بلا ذرة من عطف أو رقة أو حنان .. إنه نموذج للشخصية الأنانية ( السيكوباتية ) التى لاتريد من المجتمع إلا مصالحها .. ولا تعطيه شيئًا على الإطلاق ..

أما أسوأ ما فى الأمر ؛ فهو أن ( ستافروس ) كان يهيم بالفتاة حبًا .. منذ أن جاء إلى ( كريت ) وحتى الآن ..

★ ★ ★



لابد أن ( إيزبيا ) وضعت الشال على كتفيها ، وغادرت الخان عند منتصف الليل .. وحدها ..

ولابد أنها كانت تبكى .. ولابد أن العبرات كانت تحول بينها وبين الرؤية الصافية .. كل هذا مؤكد ..

لكن القمر كان بدرًا .. وجعلها هذا تزمع أن تتجه نحو الهضبة حيث كان الرجال يعملون صباحًا ..

من المؤكد لنا أنها فعلت هذا .. لأن آثار قدميها على الأرض الجيرية تؤكد أنها اتجهت فى هذا الاتجاه ..

كان يمكننا أن نقسم إن مشهد الهضبة كان رهيبًا فى ضوء البدر البارد الفضى .. وخيالات غامضة تتلاعب هنا وهناك .. لكن الحزن لا يدع فى النفس مكانًا لشعور آخر .. سواء كان الرهبة أو الخوف .. و ( إيزبيا ) كانت حزينة ..

حزينة إلى حدّ أنها لم تلحظ أن الحبال المحيطة بموقع الحفر قد تمزقت .. وأن البئر صار بلا حدود تحيطه ..

حزينة إلى حدّ أنها لم تسمع صوت الخطوات من ورائها ..



حزينة إلى حدّ أنها لم تسمع صوت الخطوات من ورائها . .

حزينة إلى حد أنها لم تصرخ ..

ولعلها لم تجد الوقت الكافى لذلك ..

★ ★ ★

إنه الصباح ..

وحين صحونا من النوم أدركنا أن الأمور ليست على ما يُرام فى الخان ، رجال يدخلون ويخرجون .. وضوضاء ..

نظرت نحو ( هيلين ) متسائلاً عما عساه مصدر هذه الجلبة ، وكانت الإجابة سريعة جدًا .. وغير متوقعة بحال ..

اقتحم غرفتى صاحب الخان ـ على غير استئذان ـ وهتف :

ـ ألم تر ابنتى ( إيزبيا ) ؟..

ـ بلى .. وقت العشاء .. طبعًا ..

ـ لم يرها أحد بعد هذا .. إننى لا أفهم !..

ثم فارقنى غير منتظر لردّى ..

خرجت وراءه ، لأجد الخان مليئًا بالوجوه المتسائلة ، والشوارب الكثة ، والبنادق لنفر من رجال الشرطة المحليين ..

وكان ( باسيلوس ) يقف بينهم بقامتـه المديـدة .. يكرر فى ثقة :

- للمرة الألف أقول إنها قدمت لى العشاء ثم انصرفت .. وليست لدى أدنى فكرة عن ..

- اخرس أيها الثعبان !..

صاح ( ستافروس ) فى عصبية .. وأنا لم أر ( ستافروس ) يتشاجر فى حياتى ، وعهدى به الليونة والاستسلام .. لكنه فى هذه المرة كان ثائرًا كبركان ، وقد احتشد الدم فى وجهه وكاد يسيل من أذنيه ..

ورأيته يشير إلى ( باسيلوس ) متهمًا :

- إننى واثق أن هذا الفتى مسئول عن اختفائها .. لقد رأيت الفتاة وكانت فى حال غير طبيعية .. وأنا أعرف أن هناك شيئًا ما بين الاثنين ... !

- هراء !..

قالها ( باسيلوس ) وهو يرمقه بنظرات لو أنها تقتل لأحالته إلى مصفاة آدمية ..

رفعت كفى فى كياسة ، طالبًا حقى الطبيعى فى أن أعرف ما يدور هنا بشأن اثنين من معاونى ... فقال لى أحد رجال الشرطة :



- الفتاة خرجت من الخان أمس عند منتصف الليل .. هناك من رأوها تفعل .. وآثار أقدامها واضحة على الأرض .. ثم لا أثر لها بعد ذلك .. نحن نعتقد أن هناك من تحرش بها ..

فى غضب صاح ( ستافروس ) :

- بل انتحرتْ .. بخعتْ نفسها ، وعندى على ذلك ألف يقين .. لقد آذى هذا العقرب الوسيم روحها .. ابحثوا يا رجال عن جثتها فى بحيرة .. أو مهشمة أسفل مرتفع .. أو مدلاة من حبل فى سقف كنيسة مهجورة ..

صحت فيه محنقًا :

- ( ستافروس ) !.. آمرك أن تخرس .. لا تزد الأمور تعقيدًا ..

ثم نظرت إلى الرجال طالبًا أن يدلونى على مسار خطوات الفتاة .. وخرجنا فى موكب غاضب من الأهالى ورجال الشرطة ، ونساء ( كريت ) المولولات دائمًا فى ثيابهن السوداء .. كل هذا يحيط بالفتيين ..

وفى ضوء الشمس الحارق رأينا خطوات حذاء أنثوى تتجه نحو المرتفع .. المرتفع حيث كان الحفر يجرى بالأمس ..

صحت فى الرجال وقد فهمت ما جرى :

- هناك من مزق الحبال المحيطة بالفتحة .. لابد أن الفتاة قد سقطت فى البئر إلى داخل التيه ..!..

- إذن هاتوا الحبال ..!..

وتدلى أحد الرجال - من ذوى الوزن الخفيف - فى حبل .. وراح ينزلق عليه إلى أسفل بحذر ..

على حين وقفنا نحن بأعلى نرمق الفتحة المظلمة ، ونرمق رأس الرجل ينزلق ببطء ليختفى فى الظلام .. وتمر دقيقتان ..

ثم سمعنا صوته ينادى فى هلع :

- يا رجال !.. قد وجدت عظامها !..

تصايح الناس فى هلع .. وهوى أبوها على ركبتيه يقرع رأسه بكفيه .. وصرخت عجوز وشقت ثيابها ....

هنا صحت كى أهدئ الجميع :

- صبرًا يا إخوان ..!.. إن هذه العظام موجودة منذ الأمس .. وهى تعود لتاريخ سحيق .. وحتى لو فرضنا أن الفتاة قد سقطت فى البئر .. فما كان لها أن تتحلل بهذه السرعة !.. إن ( إيزبيا ) فى مكان آخر دون شك ..



بدا عليهم الاقتناع . وتنفس بعضهم الصعداء ..

ثم رأيت الرجل الذى كان قد هبط إلى القاع يصعد متسلقًا الحبل ثانية .. وفى جيبه دس ثلاثة عظام ليرينا إياها ..

قال رئيس الخفر ، وهو يلقى بالعظام أرضًا :

- لا عليك يا ( خريستو ) .. مادمت لم تجد الجثة ذاتها مهشمة العنق ؛ فما زال أمامنا أمل ..

ثم التفت إلى الرجال آمرًا :

- فلنفتش الكنيسة المهجورة .. ونمسح الشاطئ كله ..

وانصرف الرجال جميعًا .. فى حين تخلفت أنا و ( ستافروس ) و ( باسيلوس ) .. كان ( ستافروس ) راكعًا على ركبته يتفحص عظمة طويلة وجدها بين هذه العظام التى أخرجها الرجل من البئر ..

- هل ثمة شىء يا ( ستافروس ) ؟

قال وهو يتشمم العظمة .. ويتفحصها فى عناية :

- إنها عظمة ساق .. أشعر من رائحتها وملمسها أنها طازجة .. لم تجففها السنون كباقى العظام ..

ثم نظر لى نظرة ذات معنى .. وأردف :

- إنَّ لى خبرة طبية معقولة لأننى بدأت دراسة الطب ولم أستكملها .. هذه العظمة هى قصبة ساق يسرى .. ويوجد كسر سيئ الالتئام فى منتصفها .. ( باسيلوس ) .. لقد كانت ( إيزبيا ) تعرج فى سيرها قليلاً .. فأية ساق كانت تعرج بها ؟

بلل ( باسيلوس ) شفتيه بلسانه .. ونظر إلى الأفق .. وغمغم :

- كانت تعرج بساقها اليسرى !!..

........................

★ ★ ★



## ٦ - ومزيد من الأشياء ..

قمنا بإعادة ربط الحبال حول البئر ، وزدنا عددها هذه المرة لتكون سورًا حقيقيًا يمنع أى شخص من الدنو هناك ..

لم نخبر أحدًا بقصتنا لأن احتمال الخطأ وارد .. ومادام اسم الإنسان لا يُكتب حفرًا على عظامه ، فنحن لا نستطيع أن نقسم إن هذه هى عظام الفتاة ..

غدًا نستكمل البحث داخل هذا التيه ، ونعرف أكثر ..

أما الآن فلنبق السرّ بيننا .. لأن أول ما سيقوم به هؤلاء الأهالى المحنقون ، هو أن يطلقوا على البئر اسمًا شاعريًا مثل ( فم الشيطان ) .. ثم يحضروا الديناميت أو الخرسانة ليسدو هذا الفم نهائيًا ، ويضيع علينا كل المجهود الذى قمنا به ، ولن نعاود الحفر إلا فى حماية كتائب من الجيش اليونانى ودبابتين على الأقل ..

لهذا عدنا إلى قواعدنا سالمين ..

وفى نفس الوقت كان الرجال يبحثون عن شىء ما فى الجزيرة كلها .. دون جدوى طبعًا ..

* * *

تسألنى ـ وأنت محق فى هذا ـ عن السبب الذى منعنا من سدّ الحفرة نهائيًا .. لقد عرفت فيما بعد مدى خطئنا ..

لكن ماذا أقول لك ؟

إننا يونانيون .. ونخضع لقواعد الدراما الإغريقية ( الأرسطوطالية ) حيث البطل يسير ـ بإصرار مزعج ـ نحو قدره .. وحيث ينذره كل شىء بالمصير المحتوم لكنه لا يبالى ..

* * *

عند العصر عاد الرجال خالى الوفاض إلى الخان ..

ورأيت صاحب الخان ـ أبا ( إيزبيا ) ـ يتقدم فى خطوات متثاقلة إلى منتصف قاعة الطعام .. مغبرًا مشعثًا ملوثًا بالعرق .. وقد اختلط شعره بالتراب ، وتمزقت ثيابه .. لابد أنه زحف داخل أكثر من كهف .. وتعلق فى أكثر من سقف .. وغاص فى أكثر من بئر ..



كانت عيناه جمرتين متقدتين من لهب ..

ورأيته يقف أمام ( باسيلوس ) .. بينما هذا الأخير مازال يلوك قطعة اللبان فى استعلاء ، ويداه فى جيبه متحديًا ..

قال صاحب الخان ضاغطًا على أسنانه :

ـ اسمع يا ابن الشيطان .. لم أجد دليلًا على أنك مسئول عن اختفاء ابنتى .. لكنى ـ والله يعلم ذلك ـ أعرف أن لك علاقة بالأمر .. لهذا اعتبر نفسك إنسانًا ميتًا من الآن فصاعدًا ! ..

بلا مبالاة تساءل ( باسيلوس ) :

ـ هذا مسلّ .. ومتى ؟

ـ حين أقرر أنا .. والآن اخرج من هنا !.. لا أريد أن أراك تحت سقف دارى ثانية ..

وأشار إلى الباب فى حزم ..

فمشى ( باسيلوس ) بين الدهماء ، متظاهرًا بعدم اللامبالاة .. وخرج ..

قلت محاولًا تهدئة الأمور :

ـ أى ( يانى ) .. إن الفتى لم يفعل ما تظن أنه فعله ..

- لا يهم .. ما أعرفه هو أن له علاقة ما بالأمر ..

قال رئيس الخفر ، وهو يصبّ لنفسه بعض النبيذ :

- غدًا نواصل بحثنا .. نحن لم نتفقد قبو الخمور بعد ..

قال قائل :

- والطاحونة المهجورة ..

- إن غدًا لناظره قريب .. أما الآن فقد بدأ الظلام ..

★ ★ ★

بدأ الظلام ..

يا لهذا الحارس الليلى من كائن غريب !.. بعباءته السوداء المدلهمة يخطو منحنى القامة بين الدروب .. يطفئ هذا المصباح وذاك .. يلقى عباءته فوق المنعطفات وبين الديار .. يبعثر زهور الغموض والرهبة هنا وهناك .. يحييه البوم .. وترفّ له أجنحة الوطاويط .. وتنبح الكلاب .. وتعوى القطط الضالة ..

إن الظلام هو الملك المطلق للبلاد .. فالمجد له ..

لكن الظلام لم يثر خوف ( لازاريدس ) ..

إنه يعرف هذه الجزيرة كظهر يده .. ويعرف أنه ما من شيء يحدث فيها على الإطلاق . وحتى لو حدث



شيء فهو يحدث للآخرين فقط .. الآخرون فقط يجرحون ويصابون ويموتون .. أما هو ...

الحقيقة الآن هى أنه ثمل تمامًا ..

لقد أفرط فى احتساء ( الأوزو ) فى الحانة منذ ساعة ، وهو يعرف ما سيحلّ به حين تعرف امرأته ذلك ..

( نانا ) القوية الضخمة سليطة اللسان .. ستبدأ بالصراخ فيه ، ثم تكيل له عددًا من اللكمات .. ثم ...

لا يهم .. فلم تعد ضرباتها تؤلمه ..

المشكلة هى أنه يشعر بساقيه لينتين كعودين من ( المكرونة ) المسلوقة ، أو قالبين من ( الهلام ) ..

المشكلة هى أن البيت مازال بعيدًا .. بعيدًا جدًّا ..

يمكنه اختصار المسافة لو صعد هذا المرتفع ، ليمر بموقع الحفر الذى يعمل به كل هؤلاء المخابيل من ( أثينا ) .. والذى يعمل به هو أيضًا .. لكنه لن يعمل به غدًا لأنه بالتأكيد سيظل فاقد الوعى حتى الظهر .. وسيصحو بصداع لعين .. وسيحسو أقداح عصير الطماطم محاولاً أن يفيق من تأثير هذا السمّ ..

شرع يغنى بصوت عال :

- لا يا ( ميخائيلوس ) .. أنا لن أعود لسماع ألحانك جوار شجرة ( الدردار ) .. لأن ... (*) .

لاهثًا يرقى المنحدر .. واللعاب يسيل من فيه ..

- .. لأن .. القرية كلها تعرف أمرنا ... و ... ..

تبًا ..! هذه الصخور تمزق نعليه .. إن أنفاسه لم تعد تطيق ...

- ولأن أبى قال لى .. لا .. ليس ( ميخائيلوس ) .. إنه لا يجيد سوى عزف المزمار .. وأمى ... ..

هيه ..!.. هو ذا قد وصل إلى جوار الحفرة التى حفروها أمس .. والتى حسبوا أن الفتاة قد وقعت فيها ..

- وأمى قالت لى .. لا .. ليس ( ميخائيلوس ) .. إنه لا يملك سوى قلبه الفتى وذراعيه القويين .. و ...

شىء غريب !.. إن هذه الحفرة تحيطها حبال ممزقة تتدلى من أوتادها .. لماذا يحيط هؤلاء المخبولون حفرتهم بأنصاف حبال ؟ من الغريب أيضًا أن .. أن

---

(*) أغنية من خيال المؤلف .. فلا توجد أغنية يونانية بهذا السخف !.



ماذا ؟.. لقد نسى !.. هى هيه !.. إن أفكاره سريعة البخر حقًا ..

وبصوت أجش واصل الغناء :

- .. وخالتى قالت لى .. لا .. ليس ( ميخائيلوس ) .. فهذا الفتى يملك عينين تسحران من تراهما .. لهذا ...

يخيل له أنه يسمع صوت خطوات من وراء ظهره ..

خطوات .. وصوت أنفاس لاهثة .. لا .. بل هو شىء أقرب إلى خوار الثيران ..

- .. لهذا يا ( ميخائيلوس ) .. لن أعود لسماع ألحانك جوار شجرة ( الدردار ) ..

هذا الشىء ثقيل الحركة بالتأكيد ..

إنه يدنو منه أكثر فأكثر ..

وفى اللحظة التالية أحس بكف ثقيلة توضع على كتفه ..

صرخ فى هلع .. واستدار ليرى ..

★ ★ ★

أنهت ( ماريا ) غسيل الثياب لأسرتها الصغيرة ..

للأسف أن الوقت ليل .. لكنها واثقة من أنه سيجف سريعًا ، لأن الهواء جافّ حارّ ... وهو أنسب لجفاف الثياب ..

شرعت تعلق الثياب فوق الحبل الذى يمتد من جدار دارها إلى شجرة البلوط القريبة ، ثم إنها عادت إلى الكوخ لترى ما إذا كانت طفلتها غافية فى سلام ..

إن ( ماريا ) على قدر لابأس به من الجمال برغم أعوامها الأربعين . وطفلتها قد ورثت عنها ذات الجمال .. لذا بدت الصغيرة كملاك نائم .. ملاك بلل ثيابه الداخلية للأسف !..

نزعت عن الطفلة سراويلها واستبدلتها لها ، دون أن توقظها .. ثم رأت أن الوقت مبكر بعد .. ولن يعود زوجها من الحانة - ملتقى كل رجال البلدة - إلا بعد ساعتين ..

فلماذا لا تنتهز الفرصة وتغسل هذه الثياب فى البئر سريعًا ؟ إن البئر قريبة .. والقمر الليلة مكتمل ..

لهذا غادرت الدار مسرعة ، قاصدة البئر التى تقع جوار المرتفعات ..

وهذه هى مشكلة الطموح الزائد ..

لقد أنساها هذا الطموح أن تغلق باب الكوخ على طفلتها النائمة .. و ..

* * *



كان هذا هو ( ميكوس ) العجوز خفير الدرك ..

- ( لازاريدس ) أيها السكير .. لسوف تهشم عنقك يومًا ما فى إحدى جولاتك الليلية ..

تنفس ( لازاريدس ) الصعداء .. وهوى على رأس ( ميكوس ) يلثمها :

- لقد أخفتنى أيها العجوز .. إن لأنفاسك خوارًا كخوار ثور ..

- إنه الربو يا ( لازاريدس ) .. الربو .. هلا عدت لدارك الآن ؟ إن أشياء غريبة تقع فى البلدة هذه الأيام .. ويبدو أن هؤلاء الأثينيين أبناء الشياطين قد جلبوا نحسهم إلى ( كنسوس ) .. هيا .. عد إلى دارك ..

هزّ ( لازاريدس ) يديه فى وجه البدر .. وهتف :

- كنت أمرح أيها العجوز .. أمرح ..

وعاد يغنى فى صوت أجش وهو يترنح مبتعدًا ..

- لا .. يا ( ميخائيلوس ) .. أنا لن أعود لسماع ألحانك جوار شجرة ( الدردار ) ..

كانت هذه هى الأغنية التى رددها .. كما أكد ( ميكوس ) فى المحضر الرسمى الذى كتبه بعد يوم ..

ولقد أثار هذا الاهتمام بالتفاصيل ضيق رئيس الخفر ، لكنه رأى ألا بأس من ذكر هذا فى المحضر ..

والمؤكد أن ( لازاريدس ) قد شفى من إدمان الخمر بعد تلك الليلة ..

شفى إلى الأبد ..

★ ★ ★

خيل إلى ( ماريا ) أنها سمعت صوت خطوات .

فنظرت حولها لترى .. ولم يكن هناك شىء ..

عادت تغسل الثياب الداخلية لطفلتها فى مياه البئر ..

حين خيل إليها أنها تسمع صوت خوار كخوار الثيران ..

مستحيل هذا .. لابد أنه صوت جريان المياه ..

واصلت غسيل الثياب .. حين بدأت تشعر أن الصوت يزداد ارتفاعًا .. كان القمر يرتمى أمامها فى مياه البئر .. ومعه وجهها الوسيم .. وفى كل لحظة تهتز الصورة وتتموج .. تذكرت - بالتأكيد - قصة الفتى ( نركيسوس ) الذى عشق صورته فى الماء ، وحسب أنها عروس بحر حسناء ، فكلما حاول أن يلثمها تشوش الماء .. وغابت



الصورة عن ناظريه .. وفى النهاية انتحر الفتى المطعون فى حبه جوار ضفة النهر ، ومن جثته نمت أزهار نرجس(*) ..

إن وجهها هو أقرب إلى وجه عروس بحر حسناء ، ترمقها من تحت الماء فى وله وافتتان ..

لكنها لاحظت شيئًا آخر يطلّ من فوق كتف عروس البحر فى الماء .. ثم تذكرت أن هذا الشىء هو بالتأكيد يقف خلفها هى ..!

لم تتبين ما هو ..

لكنها عندما تبينته عرفت أنه رأس .. رأس شىء ما ..

شىء يقف خلفها الآن .. ويصدر أصواتًا غريبة ... !

★ ★ ★

وحين مرّ ( لازاريدس ) قرب البئر ..

لابد أنه رأى مشهدًا مروعًا .. مشهدًا لم يستطع فهمه من اللحظة الأولى .. لكنه فى ضوء القمر يبدو واضحًا بغير حاجة إلى مزيد من الإضاءة ... وطارت الخمر من رأسه فورًا ..

---

(*) هذا هو أصل كلمة ( نرجسية ) أى العاشق لذاته ..



وإذ سقط أرضًا .. لابد أنه رأى الشىء يدنو منه ..

لابد أنه صرخ .. لابد أنه جرى ..

وفجأة توقف وهو يشعر بخفقات قلبه تتسارع وتتسارع .

حتى لم يعد يستطيع التحكم فيها ..

ألم ممض يغزو صدره .. وستار أسود يهبط أمام عينيه ..

وإذ سقط أرضًا .. لابد أنه رأى الشىء يدنو منه ..

★ ★ ★

# ٧ ـ أسطورة المينوتور ..

لقد عمّ الغضب البلاد .. وجاحت العواصف فى أرجاء المعمورة .. ومن بين الغيوم هطل سيل غاضب هتون ..

هكذا كان ( هوميروس ) أو ( سوفوكليس ) سيصفان ردّ الفعل الذى اجتاح أرجاء ( كنسوس ) ، حين صحا الناس ليجدوا مأساتين فى جزيرتهم الهادئة ..

( لازاريدس ) العجوز وجدوه ملقى على الأرض قرب البئر ، وعلى وجهه أعتى أمارات الرعب ..

أما ( ماريا ) فقد عاد زوجها ليجد طفلته تبكى وحيدة فى الكوخ .. وراح ـ مسعورًا ـ يبحث عنها فى كل صوب ..

وفى الصباح وجد ثيابًا ممزقة قرب البئر .. وقطرات دم .. ثم لا شىء يدل على مكان زوجته .. لكن الثياب ثيابها حتمًا .. والثياب الملقاة على حافة البئر هى سروال داخلى لطفلته .. واضح أن الأم التعسة كانت تغسله حين .. حين ماذا ؟



لا أحد يدرى ...

* * *

فى دار العمدة جلس عشرة رجال حول منضدة ، يحتسون القهوة ويدخنون . وقد بدت عليهم أمارات الجدية ..

كنت أنا بين هؤلاء الرجال .. و ( يانى ) صاحب الخان .. و ( ستافروس ) و ( باسيليوس ) .. والعمدة نفسه ببدانته وصلعته المميزة . وشاربه القصير المضحك ..

وخارج الدار وقف خمسون رجلاً هائجًا ، عازمين على تحطيم أى شىء فى أية لحظة لأى سبب .. فقط امنحهم فرصة الانفجار .. إن الإنجليزية تحوى لفظة هى panic لا نملك مثلها فى اليونانية ، ولا أدرى إن كان مثلها فى العربية .. إنها تعبر بصدق عن الهلع الجماعى المصحوب بانفلات أعصاب ، مع عجز تام عن التعقل ..

وهلع كهذا هو ما يجعل رواد مسرح يتدافعون نحو الباب إذا رأوا دخانًا أو شموا شياطًا .. غير عابئين بتهشيم بعضهم البعض تحت الأقدام ، أو سحقًا فوق الجدران .

ولفظة panic هى خير تعبير عن حالة القوم فى هذا اليوم ..

وفى الداخل كنا أكثر هدوءًا .. وكنت أنا أقول فى تعب :

ـ هكذا .. ترى يا عمدة أننا فى مأزق .. وأرجو أول ما أرجو أن تعيد الاعتبار إلى مساعدى ( باسيلوس ) ..

هتف العمدة فى تبسط :

ـ طبعًا .. طبعًا .. أعتقد أن ( يانى ) لم يعد يحمل ضغينة ما ..

ابتسم ( يانى ) ابتسامة صفراء .. ولم يقل شيئًا ..

أضفت وأنا أشعل غليونى ..

ـ نحن الآن واثقون أن هذا الشىء الذى يجتاح القرية ؛ وكلفنا أرواح ثلاثة أبرياء .. إنما جاء من الحفرة .. جاء من القبو الذى وجدناه بالأمس .. والدليل على هذا هو تمزق الحبال التى أحطنا بها الفتحة أمس .. للمرة الثانية تتمزق ... وأنا لست ميالاً إلى أن هذا عبث عابث .. فلا سبب يدعو شخصًا عاقلاً لتمزيق حبال تحيط ببئر .. إن الشىء هو الذى مزق الحبال .. وأكاد أجزم أنه كان يحمل ضحيته إلى البئر عائدًا فى كل مرة ..



ومددت يدى إلى لفافة من ورق أحملها .. وقلت :

ـ هوذا الدليل على كلامى .. هذه العظمة أثارت انتباه ( ستافروس ) .. أمس .. وأعتقد أنه مصيب ..

ورفعتها ليروها .. وبالطبع تحاشيت ذكر أسماء ، لأن هناك احتمالاً لا بأس به فى أن يكون ( يانى ) هو أبو صاحبة العظمة !

ـ كما ترون .. هذه العظمة طازجة .. نخاعها أحمر .. ويخيل لى أنها تخص إحدى ضحايا الشىء .. وقد وجدناها فى الحفرة ..

ساد الصمت هنيهة ..

بعد لحظات تساءل أحد الرجال :

ـ ولماذا لم يمسّ هذا الشىء ( لازاريدس ) ؟ ..

ـ لأنه كان قد مات .. وهذا ما تفعله الدببة حين تجد جثة .. فتتشممها .. ثم تنصرف عنها فى فتور ..

مرة أخرى عاد الصمت ...

وإن كنت قادرًا على سماع الأفكار تدوى فى أذهان الجالسين ، وأن تعدّ أنفاسهم ..

بعد قليل همس العمدة :

ـ أرى أن الجميع يشاركنى الرأى فى وجوب سدّ الحفرة ..

قلت فى إحباط :

ـ لكن كشفا كهذا لا يمكن أن يدفن ..

ـ إن الخطر يفوق الفائدة المرجوة .. وعلى كل حال يمكنكم دائمًا أن تعودوا مع حشد من عسكريى ( أثينا ) ، لتفتيش الدهليز .. ومحاصرته .. وتمشيطه ..

★ ★ ★

هنا تساءل ( ستافروس ) وهو يضع القدح على المنضدة :

ـ ترى هل مازلت تؤمن بوجود ( المينوتور ) يا بروفسور ؟

تصايح الرجال بالكلمة فى دهشة ..

فكلهم سمعوا هذه الأسطورة منذ نعومة أظفارهم .. و ( كريت ) كلها تعيش فى هذا الجو منذ الفجر وحتى غروب الشمس ..

ـ ( مينوتور ) ؟ ( مينوتور ) ؟ ..

قلت أنا محاولاً أن أبدو عقلانيًا باردًا :

ـ هذا مجرد فرض .. ( اللابيرنث ) به وحش .. فماذا عساه يكون هذا الوحش سوى ( المينوتور ) ؟ ..

ابتسم العمدة فى تهكم مهذب ..



على حين قال ( يانى ) وهو ينزع البيريه من على رأسه :

ـ لو فرضنا هذا جدلاً .. فالأسطورة ذاتها تقول إن ( ثيذيوس ) قتله .. فكيف عاد للحياة ؟

ـ أنا أفترض ولا أملك أدلة .. لكن لماذا لا نفرض أن الملك ( مينوس ) أذاع هذا لينهى حربه مع ( أثينا ) ، وينقذ ماء وجهه من إلغائه لفدية سنوية كانت تؤرق ضميره ؟

لماذا لا نفرض أن ( ثيذيوس ) كاذب ؟ بل لماذا لا نفرض أن ( ثيذيوس ) شخص افتراضى ، ولم يكن له وجود ؟

قال العمدة ملوحًا بكفيه :

ـ ليكن .. ليكن .. نحن لن نضيع الوقت فى افتراضات لا جدوى منها .. ليكن ما بالقبو هو ( المينوتور ) أو حماتى لا يهم .. المهم أن هناك وحشًا مفترسًا يجب منعه من الخروج ..

ثم أصدر أوامره إلى رجلين جالسين ، بدت عضلاتهما المفتولة فى الساعدين والكتفين العريضتين ..

ـ ( سبيروس ) و ( كوستا ) .. عليكما أن تصحبا الرجال إلى البئر .. وتقوما بما يلزم لسد هذه الفتحة ..

ـ ليكن .. سندعمها بالحديد ، ثم نصب فوقها طبقة من الأسمنت .. وبعدها نهيل التراب عليها .. ونرويه ..

ـ على بركة الله ..

فلم يكد المساء يجيء ، حتى اختفت الفتحة تمامًا .. ولم يعد يسيرًا العثور عليها حتى بالنسبة لنا ..

إنه قرار صائب حقًا ...

★ ★ ★

نعم .. هو قرار صائب بالنسبة لـ ( نيقوس ) .. ولن يتراجع عنه ..

كان الجميع يقولون إنه مشاغب ، ويقولون إنه مولع بالتحدى وروح القتال ..

وقد كان كذلك ..

إن أعوامه العشرة تغرى من هم أكبر بالسخرية منه .. ولطالما حاول أن يتفوق على من كانوا أكبر منه سنًا .. استعمل ألفاظًا أكثر بذاءة من ألفاظهم .. حفظ نكاتًا أوقح من نكاتهم .. تعلم تدخين التبغ مثلهم .. تشاجر مرارًا على غرارهم ..

لكنهم لم يقبلوه قط بينهم .. دائمًا كان بالنسبة لهم ( ذلك الغرير ) .. ولطالما سخر منه ( فرانجوليس )



ـ أو ( فرنجو ) كما يسمونه ـ لأن صوته رفيع كالفتيات وذقنه ناعمة لا تكسوها تلك الخشونة السوداء المحببة فى ذقون هؤلاء ...

كان يحتدّ أحيانًا .. لكن بعض لكمات كانت تلقى به أرضًا فوق الغبار ، يبكى كرامته الجريحة أكثر من بكائه ألمًا ..

واليوم قال له ( فرانجوليس ) ، وهو يمسك بتلابيبه :

ـ اصغ لما أقول يا ( نينى ) .. وإلا فتحت كرشك ..

كان النصل الحاد للمطواة الصدئة ينغرس فى لحم بطنه .. وكان يعرف أن ( فرانجو ) لن يجرؤ على ( فتح كرشه ) ؛ لكن الشعور كان كريهًا وغير مريح بالتأكيد ..

ـ أنت تزعم أنك رجل .. أليس كذلك ؟ ..

قال بعناد :

ـ بلى .. رجل ..

ـ إذن .. سترينى ذلك ..

وقاده مع عصابة الفتيان المراهقين إلى المرتفع .. قرب مكان الحفريات التى كان يمارسها الرجال من ( أثينا ) ..

ورأى ( نيقوس ) حفرة فى الأرض .. جوارها تراب متكوم ومعول ..

- نريد منك أن تهبط فى هذه الحفرة ! ..

قال واحد آخر وهو يشعل لفافة تبغ .. ( عُقب لفافة فى الواقع ) :

- نحن حفرنا هذه الحفرة .. إن شيئًا مروعًا يحدث بهذا المكان .. ولقد ردموا اليوم الحفرة التى صنعها الأثينيون .. لكننا اصطنعنا هذه .. وستكون هى اختبار شجاعتك ..

ونظر ( فرانجوليس ) إلى عينيه .. وهتف :

- هل تجرؤ على النزول يا ( نينى ) ؟

- ولم لا ؟

قالها بتحدٍّ كعادته .. فتبادل ( فرانجوليس ) نظرات السخرية مع من حوله ، وهو يلوك عودًا من الثقاب بين أسنانه ..

إن زعامة هذا الطراز من المراهقين ؛ تكون للأكثر قدرة على إيذاء الآخرين .. والأكثر سادية .. والأكثر بذاءة ..



وكان ( فرانجوليس ) يعرف أنه لكى يحتفظ بزعامته ؛ عليه أن يحافظ على درجة معينة من السادية والبذاءة .. والقسوة ..

لذا قال للصبى :

- ليس الآن يا ( نينى ) .. بل ليلاً ! ..

قال واحد من العصابة :

- لا تقسُ على الآنسة يا ( فرانجو ) .. أنت تعلم أنه لا يجرؤ ! ..

قال ( فرانجو ) فى لهجة رحيمة :

- حقًا يا شباب .. وهذا مؤسف .. إن هؤلاء الأطفال ...

وهنا كان طبيعيًا أن يثور الصبى ، وقد لعبوا على الوتر الحساس المضمون .. صعد الدم إلى رأسه وأزمع أن يقبل لعبتهم الخطرة دون مناقشة ..

- ليكن يا ( فرانجو ) .. الليلة عند منتصفها ..

- هذا ولد شجاع ...

★ ★ ★

وها نحن أولاء نرى ( نيقوس ) وقد عقد أمره على قبول التحدّى .. كان خائفًا .. لكن كبرياء الأطفال كانت أقوى من خوفه ..

ها هوذا يدنو من البئر الجديدة التى حفرها هؤلاء ..

فيجد - فى الظلام - ( فرانجو ) وثلاثة آخرين ينتظرونه .. وناوله الأول شمعة .. وأشعل فتيلها .. ثم غمغم :

- ستقضى ربع ساعة هناك .. بعدها تخرج .. وسنكون بانتظارك لنعلن أنك حقًا رجل ..

تناول الصبى الشمعة دون كلمة ..

ثم اتجه إلى فتحة البئر ، حيث كان حبل غليظ ربطه المراهقون فى شجرة قريبة .. وبدأ يتدلى إلى أسفل ممسكًا الشمعة بيد .. والحبل بيد أخرى ..

ولم يكن الارتفاع كبيرًا .. خمسة أمتار لا أكثر ..

وسالت قطرة من الشمع الساخن على كفه .. فهزها ليخفف من الحرق الذى شعر به .. لعق يده .. ثم تخلى عن الحبل ..

ونظر لأعلى ليرى .. فوجد الحبل يرتخى .. ثم يسقط من أعلى ليتكوم على الأرض جواره كثعبان ميت ..

وفى اللحظة التالية رأى وجه ( فرانجو ) يطلّ من أعلى :



- حظًا سعيدًا مع الأشباح يا( نينى ) ..!.. سنعود لك فى الصباح لنراك .. هوهوه !.. أو لنرى ما تبقى منك !.. هوهوه ! ..

ودوت عدة ( هوهوات ) من الثلاثة الواقفين حوله ..

وعندئذ فقط تذكر ( نيقوس ) أنه مازال طفلاً ..

طفلاً وحيدًا فى الظلام ...

* * *

# ٨ - الوحش بيننا ..

الخاطر الأول هو وضع الشمعة على الأرض وتثبيتها :
الخاطر الثانى هو تسلق الجدار للخروج من الحفرة ..
نظر ( نيقوس ) إلى أعلى ..
المشكلة هى أن الفتحة فى منتصف السقف ، وليست جوار الجدار ، وبالتالى عليه أن يتسلق لأعلى .. ثم يمشى على السقف كذبابة حتى يصل إلى الفتحة .. ويخرج جسده منها ..
أما محاولة قذف الحبل لأعلى ففاشلة حتمًا ، لأن الحبل لن يجد ما يتعلق به ..
وهنا - على ضوء الشمعة المتراقص - رأى قطعة حجر بارزة من الجدار قرب السقف ..
سيكون عليه إذن أن يقذف حبله ليلتف حول هذا الحجر .. ثم يتسلقه إلى أعلى .. وحين يصل إلى مستوى الحجر ربما أمكنه أن يعيد قذف الحبل إلى حافة الحفرة .. وربما أمكنه أن يصل إليها ..



مدّ يده يصنع أنشوطة من الحبل ..
وفى حذر كوّم الحبل .. ورماه إلى أعلى ..
فشل مرتين .. وفى المرة الثالثة التف الحبل بأنشوطته حول الحجر البارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيتحمل ثقله ..
ثم بدأ يتسلق ..
كان يرتجف كورقة .. ودموع الخوف تبلل عينيه .. لكنه كان يعرف أن عليه ألا يبقى بهذا النفق لحظة أخرى ..
فلم يمنعه الذعر من القيام بعمل إيجابى ..
الأوغاد .. الأنذال .. حين يخرج من هنا سيمزقهم بيديه .. ولسوف يعرفون من هو ( نيقوس ) حقًا ..
سينشب أسنانه فى عنق ( فرانجو ) وينتزع حنجرته وسط هلع الآخرين .. وصراخهم ..
وغدًا يأخذونه وسط هلع الآخرين .. وصراخهم ..
وغدًا يأخذونه إلى المخفر .. وهناك سيقف أمام رئيس الخفر والدم يسيل من ثغره ويبلل ثيابه ..
ولسوف يسأله ( ميكوس ) العجوز عن سرّ قتله لأولئك المراهقين الأربعة .. فيقول فى ملل :



وفى المرة الثالثة التف الحبل بأنشوطته حول الحجر البارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيتحمل ثقله ..

ـ لقد استفزونى أيها العجوز .. استفزونى !..

عندئذ يقهقه ( ميكوس ) حتى تتبدى أسنانه النخرة .. ويبصق .. ويقول :

ـ كان هذا جيدًا يا فتى .. إن أولاد الأفاعى هؤلاء يستحقون ما هو أكثر .. هى هى هئ ..!

ومع ضحك العجوز يضحك ( نيقوس ) .. يضحك .. يضحك وهو يواصل تسلق الحبل إلى أعلى .. وقد عاد إلى أرض الواقع .. ويتأمل الخطوط على الجدار التى كتبها أشخاص مجهولون من قبل .. ويرى علامات عدة ..

كان قد وصل إلى مستوى السقف ، ومن هناك يفكر فى طريقة للزحف أفقيًا حتى يصل إلى الفتحة ..

رفع جسده ليمتطى الصخرة البارزة ، وأحاطها بفخذيه كأنها صهوة حصان .. ثم فك الحبل من حول الصخرة .. وتهيأ لقذفه تجاه فتحة البئر .. حين سمع الصرخة ..

★ ★ ★

ترى هل تألموا ..؟.. إذا لم يكونوا قد تألموا فلماذا صرخوا ؟

من قصة ( رأس ميدوسا ) ..

الكتيب السادس

★ ★ ★

فى اللحظة التالية أظلمت الفتحة ..

لم يعد يرى ضوء القمر الملتمع من خلالها ..

وأيقن أن شيئًا ما يسدّ الفتحة من أعلى ..

وفى اللحظة التالية لذلك ، سمع خوارًا وحشيًا ..

واستطاع أن يتبين شيئًا ما يُلقى من أعلى .. شيئًا ثقيلاً هوى كالحجر ليصطدم بالأرض ..

ثم شيئًا آخر .. أما الشىء الثالث فكان يصدر أنينًا متوسلاً ..

وسرعان ما هوى إلى أرض الحفرة .. وهمدت حركته ..

لقد انطفأت الشمعة حين هوى فوقها الجسد الأول ..

بعد هذا هوى جسم رابع ليلحق بالأجسام السابقة ..

عجز ( نيقوس ) عن فهم ما يحدث ..

لكن غريزته ـ الشبيهة بغريزة القطط ـ قالت له ألا يصدر صوتًا .. وأن يظل حيث هو دون حراك ..

ثم أحس أن جسمًا هائلاً يتسلق داخلاً إلى الحفرة .. آتيًا من الخارج وكان الظلام دامسًا لكن ( نيقوس ) أدرك أن هذا الشىء يفوق كل كوابيسه فظاعة ..



وتصلب جسده والتصق بالجدار أكثر ، وحبس أنفاسه ..

وأدرك أن هذا الشىء ينحدر ببطء من الفتحة إلى الجدار المجاور ، بخفة وسلاسة ودون مراعاة لقواعد الجاذبية .. كأنه عنكبوت ضخم ..

عنكبوت ؟

لا .. فهذا الشىء يملك يدين وقدمين كالبشر .. لكن قامته فارعة تقارب الأربعة أمتار ، ورأسه عملاق لا يمت بصلة لرعوس البشر ..

وفيما بعد وصفه ( نيقوس ) بأنه أقرب إلى رعوس الماشية !

والتمع ضوء القمر ليرى الصبى الأجسام الملقاة على أرض القبو ..

عندئذ أدرك أنها أجساد المراهقين الأربعة الذين رموه هاهنا ..

وقد بدا من أوضاع رقابهم ، ومن التثاء أطرافهم أنهم لم يعودوا يمتون بصلة لعالمنا ..

إن هذا الشىء الذى قتلهم يهبط الجدار الآن على بعد أمتار منه .. مصدرًا خوارًا ولهاثًا مريعين ...!

ودسّ ( نيقوس ) يده فى فمه ، وعض عليها بقوة كى يمنع الصرخة التى تريد أن تخرج .. وأحس بدم ساخن يسيل على ذقنه من جراء العضة .. لكنه لم يشعر ألمًا ..

هوذا الشىء يهبط إلى القاع ..

وفى ضوء القمر الخافت البارد ، رآه ( نيقوس ) يكوم الجثث الأربع فوق ذراعيه ـ جثتين على كل ذراع ـ ثم يمشى متثاقلاً عبر النفق وهو يصدر زئيرًا مريعًا ..

وبعد لحظات تلاشى الشىء .. وخبت الضوضاء ، وعاد الظلام ..

كان هذا أكثر مما يستطيع الصبى أن يحتمله .

وبيد مرتجفة قذف الحبل نحو الفتحة ..

التفت الأنشوطة حول طرف صخرة يبرز من جدارها .. وباليد الأخرى أحكم ربط الحبل حول الصخرة التى يجلس عليها ..

قلبه يوشك أن يتوقف ذعرًا ..

لكنه لن يفقد الوعى .. ليس هنا ..

مدّ يده وتشبث بالحبل .. ودعا الله أن يكون الحبل متماسكًا .. فهو لايريد أن يسقط متدليًا فى هذا الفضاء الكريه ..



راح يزحف كدودة فوق الحبل .. ممسكًا بيديه وساقيه ..

وأخيرًا دنا من الفتحة .. لمسها بأنامله ..

فكوّر جسده ليخرج منها ..

وفى اللحظة التالية كان فى العراء .. يشم هواء الليل الذى عطره القمر .. ويتنفس الصعداء ..

لكنه لم ينتظر أكثر ..

سارع بالركض مبتعدًا عن هذا المكان الرهيب ..

★ ★ ★

فرغ الصبى من سرد القصة بالتفصيل على مسمعى ، ومسمع العمدة ، ورجل الشرطة .. ثم راح يرتجف ولا ألومه على ذلك لحظة ..

قلت وأنا أربّت على كتفه :

ـ لا عليك يا بنى .. أنت فى أمان الآن ..

سألنى العمدة عن رأيى فيما حدث .. فقلت :

ـ الأمر واضح .. لقد رأى الصبى ( المينوتور ) .. كان الغلمان ينتظرون بجوار الحفرة حين فاجأهم الوحش من الخلف .. ولابد أنه غادر الحفرة قبل وصولهم .. كان يبحث عن فريسة فلم يجد .. وحين عاد إلى الحفرة

وجدهم ينتظرون .. فقتلهم .. ثم ألقى بجثثهم إلى البئر .. ريثما يهبط هو لأسفل ويحملهم إلى حيث يفترسهم ..

- يا للهول !

- نعم .. لقد دفع هؤلاء الفتية ثمن قسوتهم غاليًا ..

- ونجا ( نيقوس ) بمعجزة ..

تساءل رئيس الخفر وهو يرسم الصليب :

- ماذا عسانا فاعلون ؟.. هل نهبط إلى التيه لنفتشه حاملين مشاعلنا ؟

قلت فى شرود :

- لا جدوى من ذلك .. فالفتية هلكوا دون شك ، ثم إن الهبوط إلى التيه انتحار حقيقى ..

- إذن ماذا ترى ؟

- أرى أن نسدّ هذه الحفرة أيضًا ..

- ولو نبشها عابث آخر ؟

- يجب أن تعرف كل ( كنسوس ) بالقصة .. يجب أن يعرف كل القوم أن هناك وحشًا مريعًا يعيش تحت أقدامهم .. وأن ما يفصله عنا هو طبقة الأرض التى نقف فوقها .. إن الأمر لا يحتمل المزاح ..

نهض رئيس الخفر .. ووضع بندقيته على كتفه :



- لسوف آخذ الرجال إلى هناك حالًا .. ونسدّ الحفرة على ضوء المشاعل ..

قال العمدة راضيًا :

- حقًا تقول .. إن هؤلاء الرجال ثائرون إلى حدّ أنه لابد من إنهاكهم بعمل ما يستنزف طاقتهم العدوانية ..

وقد كان ..

* * *

مسرح الأحداث كان رهيبًا ..

ولقد وجد الرجال مطواة ( فرانجوليس ) الصدئة .. وأعقاب سجائر عديدة .. وحذاءين .. وبقع دم ..

يبدو أن الصبية كانوا جالسين على بعد عشرة أمتار من الحفرة ، يدخنون ويتمازحون .. حين وجدوا ( المينوتور ) يخرج لهم من وراء الأشجار ..

ولابد أنهم لم يجدوا الوقت الكافى للفرار ..

وعلى ضوء المشاعل راح الرجال يمارسون مهمتهم الحزينة .. يسدّون الحفرة كأنما يهيلون التراب فوق قبر الفتيان الأربعة ..

وحين انتهوا رحلت المجموعة الحزينة فى صمت .. بقعة من نور تغيب تدريجيًا فى قلب الظلام ..

* * *

ـ عمت مساء يا ( هيلين ) ..

ـ مساء ..!

قالتها ، ودستَ إبرةَ الحياكة فى أذنها تزيل حكةً ما .. جلست على الأريكة العتيقة بجوار الفراش ، ورحت شارد الذهن أجترّ أحداث النهار الرهيب ، والأمسية الأكثر رهبة ..

ـ أمازالت الطفلة نائمة ؟

قالت فى فتور دون أن تنظر إلىّ :

ـ إنها الثالثة بعد منتصف الليل ..

وابتَسمت فى مرارة .. واردفت :

ـ إنك تزيد ساعات غيابك ساعةً كل يوم .. وهأنذا قد صرت جزءًا من هذا المقعد ..

لم أرد أن أجادل أكثر .. فأشعلت غليونى وأرحت ساقىّ على مقعد خشبى صغير .. بعد دقائق قلت :

ـ صدقينى .. إننى لا ألهو ولا أعاقر الشراب فى الحانة .. إن العمل يمتصنى إلى حدّ لا يصدق .. وهذه الأيام بالذات توجد ...

ـ ومنذ متى لم يمتصك العمل ؟!

صاحت كمن توشك على البكاء .. وأردفت وهى تلقى ما تحوكه على الفراش عند قدمى الطفلة الغافية :



ـ منذ تزوجنا وأنا لا أشكل فى حياتك سوى ركن صغير جدًا .. تتذكره كلما عدت لدارك منهكًا .. أنت تعود لى لمجرد أنك لا تجد مكانًا آخر تقضى فيه الليل .. سيان عندك غسلت قمصانك أم لم أغسلها .. طهوت أو لم أطه .. نمت أو صحوت ..

واكتست عيناها بغشاوة رقيقة من دموع :

ـ فى البدء كففتَ عن منحى ما أريد من حبّ .. والآن كففت عن طلب أى شىء منى .. ولو كان غسيل جورب متسخ .. ، حينما تزوجتك يا ( ديمتريوس ) ـ برغم فارق السن ـ ظننت أنى سأجد فيك حنان الآباء وحكمة الفلاسفة وذكاء العلماء .. أما اليوم ...

وابتلعت ريقها :

ـ .. فلا أجد فيك أى شىء على الإطلاق ..

ودون كلمة أخرى نهضت مسرعة ، وفتحت باب الغرفة .. خارجةً إلى الممشى .. هرعت لتقف عند النافذة التى فى نهايته تَرمق الليل المظلم الصامت بالخارج ..

جلست أنا أرمق ( ميليسا ) الغافية كالملائكة ..

لماذا يموت الحبّ يا ملاكى الصغير ؟ لماذا تخبو تلك الجمرة المقدسة لتصير رمادًا برغم لهيبها الذى أحرقنا يومًا ؟ متى وكيف كففت عن الاهتمام بـ ( هيلين ) ؟

رجل فى سنى وقبحى ووهن صحتى كان - لابد -
أسعد الناس بزوجة شابة حسناء مطيعة كهذه .. لكننى
لست سعيدًا ولا حزينا .. بل أن لا ألاحظ وجودها على
الإطلاق كما قالت هى ...

وكما قالت هى .. يبدأ فقدان الحب بأن نكف عن
العطاء .. بعدها نكف عن الأخذ .

لقد وهبت حياتى كلها لعملى فلم أعد أرى سواه ..
والكارثة هى أننى لم أحقق شيئا على الإطلاق ..

وحتى ( اللابيرنث ) الذى ظفرت به أسفر عن كارثة ..
كارثة يستحيل الإفادة منها بحال ...

حتى إننى ...

إنها تصرخ !..

( هيلين ) تصرخ صرخة مروعة كأنما هناك من
ينتزع أحشاءها ..

هرعت كالملسوع خارجًا من الغرفة لأنقذها ..

فإذا بها تصطدم بى ، وهى عائدة إلى الغرفة بدورها ..
وارتمت فى أحضانى تنتحب ، وترتجف .. وهى فى
حالة هستيرية غير مسبوقة .. ومن فمها تخرج أشلاء
كلمات ..





هرعت كالملسوع خارجًا من الغرفة لأنقذها ..

أخيراً أفهم كلماتها :

- إنه .. خلف النافذة !

- من ؟.. من هو ؟!

- لا .. لا أدرى ..

ثم ضاقت عيناها .. وهمست .

- كان يرمقنى من وراء الزجاج .. رأس كرأس ثور !.

.....................

* * *



## ٩ - يجب أن ننزل التيه ..

- مستحيل يا ( هيلين ) .. يوجد شىء واحد يحمل هذا الوصف ، وهو الآن حبيس التيه تحت الأرض ..

- لكنى أقسم إننى رأيته ..

وكان خمسة من ساكنى الخان قد التفوا حولنا .. ، ورأيت ( باسيلوس ) بفانلته الداخلية يقف ممسكاً ببندقية .. و ( ديمتريوس ) بمنامة مزركشة وقد بدت عليه علامات النعاس ..

ثم ظهر صاحب الخان ( يانّى ) حاملاً بندقية أخرى :

- ألن تنتهى هذه الليلة اللعينة ؟

قلت له وأنا أطوق زوجتى بذراعى :

- إنها تظن أنها رأت ( المينوتور ) يرمقها من وراء الزجاج ..

- مستحيل .. إنه سجين الآن !

- هذا ما قلته ..

- وهل زوجتك تعرف القصة ؟

- لا ..!

استدار نحو الواقفين ، وهتف كأنه يقود أغنامًا ضالة إلى راعيها :

- هيا يا ( جدعان ) .. لا داعى للتوتر .. لقد رأت السيدة كابوسًا ..

وتفرق الجمع ..

كدت أعود مع ( هيلين ) إلى غرفتنا .. لكن الرجل نادانى ، فدنوت منه .. وإذا به يقرب فمه من أذنى هامسًا :

- أترانا أغلقنا الفتحة بينما الوحش خارجها ؟!

★ ★ ★

كان تساؤلاً فى محله ..

وفى الصباح حين عرفت أن أحد رجال الخفر قد اختفى ، تاركًا بندقيته مهشمة إلى نصفين .. عندئذ فهمت مدى أهمية السؤال .. وعرفنا أن ( المينوتور ) حرّ طليق فى ( كنسوس ) .. وعاجز عن العودة إلى التيه ..

ولقد قضينا النهار كله نمشط المنطقة دون جدوى .. بحثنا فى المرتفعات .. وفى مخزن الغلال .. والطاحونة .. والكنيسة المهجورة .. لكن سدى ..



وفى النهاية عدنا إلى موقع الحفر الأول .. وكان ذلك عصرًا .. فعرفنا أن هناك من حفر المكان مستعملاً الصخور الحادة ومخالبه .. وجرف طبقات الغبار والأسمنت .. ثم انتزع الحديد الذى غطوا به الفتحة ..

لم نحتج لذكاء كثير كى نعرف من الفاعل ..

لقد عاد الوحش إلى بيته من جديد ..

وأمام الفتحة تساءل ( ستافروس ) فى حيرة :

- هل سنسدّ هذه أيضًا ؟ إن هذا الوحش يلعب الشطرنج معنا ..

قال صاحب الخان وهو ينحنى ليتفحص فتحة البئر :

- ربما لو سددناها .. يتضح لنا أنه غادرها منذ دقائق ..!

قال ( باسيلوس ) للمرة الأولى بعدما استعاد ثقته بنفسه :

- ولو لم نسدّها .. نكون قد تركنا باب الجحيم مواربًا ..

- إذن الحلّ هو نزول التيه !

والتقت عدة عيون متسائلة فوق وجه الرجل .. حتى لم يعد فوق وجهه مكان لعين أخرى !..

وتساءل ( ستافروس ) فى حيرة :

ـ لكن هذا انتحار حقيقى ..

قلت أنا وقد راقت لى الفكرة :

ـ بالعكس .. أرى أن هذا هو الحلَ الأمثل بدلاً من لعب لعبة الخفر هذه مع ( المينوتور ) ..

ثم إننى رفعت يدى صائحًا :

ـ سأكون أنا الأول يا رفاق .. ولسوف أهبط إلى الوحش فى عقر داره .. لكنى لن أستطيع شيئًا وحدى ..

رفع صاحب الخان يده هو الآخر :

ـ أنا معك .. فلو أن هذا الشىء قتل ( إيزبيا ) ...

ـ لابأس .. وأنت يا ( ستافروس ) ؟

نظر لى ( ستافروس ) فى تراخ .. ثم هزّ رأسه موافقًا ..

ـ وماذا عنك يا ( باسيلوس ) ؟

بدا الشرود للحظة على وجه ( باسيلوس ) القسيم .. ونظر لى ثم إلى ( يانى ) صاحب الحانة .. وغمغم بعد هنيهة :

ـ لا .. لن آتى معكم !

نظر الرجال إليه فى ازدراء .. ودمدم أحدهم شيئًا ما عن الرأس الجميل الخالى من الشجاعة ..، وإن كنت



أختلف معهم فى هذا .. فالشعور العام الجارف هنا هو النزول إلى التيه .. وليس من الشجاعة فى هذه اللحظة أن تقول ( سأنزل ) .. بل الشجاعة أن تقول ( لن أنزل ) !..

إن احتمالات فتك ( المينوتور ) بك تحتمل المناقشة .. أما احتمالات فتك الرجال الثائرين بك فقوية جدًا ..

قلت محاولاً تلطيف الجو :

ـ لابأس .. لن يكون هناك أى إرغام ..

ثم ناظرًا نحو حشد الرجال :

ـ هل من آخر ؟

رفع ( ميكوس ) العجوز حارس الدرك يده .. وسعل .. ثم قال :

ـ وأنا معكم ..!

ـ أأنت يا ( ميكوس ) ؟ إن لك شأنًا غير هذا .. ولا أخال صحتك تتحمل أن ...

قال وهو يلفّ لفافة تبغ ويعلق طرفها بلسانه ليلصقه :

ـ فى سنّى هذه يسهل أن يجدونى ميتًا فى الصباح .. إما بسبب نوبة قلبية أو أزمة ربوية أو نزف فى الدماغ .. لن يكون هناك فارق كبير لو وجدونى ميتًا بسبب ( المينوتور ) ..

عدت أرمق الرجال باحثًا عن متطوع جديد ..

لكنهم تحاشوا نظراتى ..

وعرفت أن فورة الحماس قد انتهت ، وعاد الذعر المتوجس .. وأن كل واحد منهم يتمنى لو لم أنظر إليه متسائلاً .. من ثَمَّ وفرت عليهم هذا العناء ، وقلت فى حزم :

- هذا يكفى يا رجال .. سنكون أربعة .. وأحسب هذا كافيًا ..

ثم نظرت نحو ( ستافروس ) وطلبت منه أن يعدّ لنا :

١ - عدة كشافات بحالة جيدة .

٢ - بعض أطعمة ومشروبات .

٣ - بنادق لنا جميعًا ، وبعض أصابع الديناميت .

٤ - طبشور وحبال وبوصلة .

ثم فارقتهم لأودع زوجتى .. على أن نبدأ التحرك خلال ربع إلى نصف ساعة ..

وفى غرفتى شرعت أعدّ حقيبتى .. ورفعت ( ميليسا ) إلى ذراعى ، ولثمت خدها الشبيه بثمرتى خوخ ناضجتين ..

هتفت ( هيلين ) وهى ترقب ما يحدث :



- إذن أنت ...؟

- بالتأكيد .. أنا ذاهب لقتل ( المينوتور ) ومعى رجال أشداء ..

- أى رجال أشداء ؟

- أنا .. و ( ستافروس ) و ( يانى ) و ( ميكوس ) العجوز ..!

- يا لهم من أبطال !.. أنت هزيل كسحلية .. و ( ستافروس ) متراخ كبقرة .. و ( يانى ) بدين كخنزير .. و ( ميكوس ) .. هه ؟.. ماذا أقول عنه ؟.. سلحفاة !

قلت وأنا أضع الطفلة على الفراش :

- ( هيلين ) .. لا تعقدى الأمور .. أرجوك ..

- أنا أحبك يا ( ديمتريوس ) .. ولو فقدتك .. أخشى أن أكرهك يومًا لهذا ..

أخيرًا أسمع هذا الاعتراف الرقيق الذى منعها الكبرياء من الإدلاء به طيلة عامين أو أكثر .. ولئن كان ( المينوتور ) سينهى حياتى ، فإنه على الأقل قد أعادها لى أولا ..

قربت وجهها من وجهى .. وكانت دمعتان على مقلتيها ..

وهنا دق الباب فى كياسة ..

ذهبت لأفتحه ، فوجدت ( باسيلوس ) واقفًا فى الردهة متحاشيًا نظراتى .. وفي فتور قال دون تعبير على وجهه :

ـ أنا آت معكم يا بروفسور ..

★ ★ ★

قلت له فى مودة وأنا أربت على ظهره :

ـ لابأس يا بنى .. كنت أعرف ..

قال بنفس اللهجة الصارمة :

ـ لم أرد أن أنزل التيه ، لأجد الوغد صاحب الخان معى فى الظلام .. إن رأسه ملىء بالشكوك ولا أدرى ما قد يفعله إذا ما انفرد بى ..

ثم ـ بنفس التعبير ـ غمغم :

ـ أعتقد أن ابنته كانت ذاهبة لتنتحر .. لكن ( المينوتور ) سبقها ..

ـ إذن أنت ترهب أباها لا الوحش ..

ـ بالتأكيد ..

ـ حسن .. أسرع بإعداد حقيبة .. حقيبة ظهر صغيرة الحجم ، وخذ بندقية من ( ستافروس ) لأننا سنتحرك حالًا ..



ـ ليكن ...

وللمرة الأخيرة اعتصرت كف زوجتى فى يدى ، واستدرت حاملًا الحقيبة على ظهرى .. واتجهت إلى الباب ..

وبدأت الحملة ، ويا لها من شىء مثير للشفقة ..!

★ ★ ★

الآن ننزل الحفرة حاملين كل ما أخبرتك به ..

سعال ( ميكوس ) العجوز .. واصطكاك أسنان ( ستافروس ) .. ولهاث ( ياتى ) البدين .. ورجفة ساقىّ أنا ..

كل هذا يقول لى إن حملتنا لن تكون موفقة إلى هذا الحدّ ..

ووصلنا إلى القاع .. فأمرت الرجل الذى يقف يرقبنا أن يرفع الحبل ، ويوصد الفتحة جيدًا ..

تساءل ( ستافروس ) فى هلع :

ـ ولماذا يا بروفسور ؟

ـ لا أريد لهذا الشىء أن يغادر التيه بينما نحن نبحث عنه بالداخل ..

ـ قد نختنق ..

ـ لا أظن .. إن ( المينوتور ) وحش ، لكنه يحتاج الهواء مثلنا .. وأظن هذا التيه يحوى كمية هائلة من الهواء ..

ورأينا الفتحة توصد فوقنا ..

وشعرنا بأن التراب الذى يهيله الرجل ، إنما هو ينهال فوق قبورنا ويخنق أرواحنا .. الظلام يغمر كل شىء ..

وأضاء ( باسيلوس ) كشافه الكهربى المتصل ببطارية سيارة ، ليعطيه حياة أطول .. وراح يمسح الجدران بها ..

وعند أقدامنا كانت العظام مكدسة .. عظام ضحايا ( المينوتور ) من شباب ( أثينا ) .. أو عظام حمقى مثلنا ظنوا أنهم على قتله قادرون ..

انحنى ( ستافروس ) ليلتقط عظمة ساعد من على الأرض .. وقال :

ـ هذه العظمة جديدة ..

ـ ماذا تعنى ؟ ـ قلت فى سأم ـ إنها من عظام الـ.. الفتاة ..

أشار إلى موضع لم يتم الالتحام فيه من العظمة .. وغمغم :



ـ إنها عظمة ذكر لم يبلغ الثامنة عشرة بعد .. أو أنثى لم تبلغ السادسة عشرة بعد .. هاهو ذا موضع الالتحام لم يتكلس بعد .. إنها عظمة واحد من المراهقين الذين مكروا بـ ( نيقوس ) أمس ..!

ـ هذا ليس بهيجًا على الإطلاق ..

ثم نظرت إلى الرجال الأربعة الذين أكسبهم ضوء الكشاف ، سمتًا شيطانيًا .. أنت تعرف تأثير هذا الضوء القادم من أسفل .. وقلت فى كياسة :

ـ من سيكون قائدنا ؟ لابد لنا من قائد ..

ـ هل هذا سؤال ؟ أنت طبعًا ..

ـ إذن أطالبكم بطاعة عمياء .. ليس الوقت وقت إظهار رجاحة عقلكم ، ولا إثبات غبائى .. ما أقول سينفذ !

ـ لك هذا ...

ناولت كلاً منهم كشافًا ، وبندقية ، وقطعة طبشور .. سيقوم كل منهم باستكشاف مجموعة ممرات .. ويده على زناد البندقية بينما الكشاف تحت إبطه ..

وكلما استكشف أحدهم ممرًا رسم أسهمًا تدله على الاتجاه الصائب .. لا نريد أن يموت أحد لمجرد أنه ضلّ

طريقه .. وعلى من يجد شيئًا مريبًا ، أو يوشك كشافه
على الانطفاء ، أو تنفد قطعة الطبشور منه .. أن يعود
أدراجه إلى هذه النقطة مسترشدًا بأسهمه ..

تساءل ( باسيلوس ) واجمًا :

- وكيف نخرج من البئر بعد انتهاء كل هذا ؟

- إن معى مسامير ومطرقة .. يمكننا تسلق الجدار
كما نتسلق جبلاً .. ونفتح الغطاء دون جهد ..

ثم أشرت لهم :

- ( يانى ) .. ستأخذ النفق الأيمن .. وأنا الأيسر ..
( ستافروس ) يأخذ امتداد النفق إلى الخلف .. ومعه
يمضى ( باسيلوس ) و ( ميكوس ) على أن ينفصلا إذا
وجدا تفرعًا .. ولسوف نلتقى هاهنا بعد ست ساعات
سواء وجدنا الوحش أو لم نجده ..

فى ضيق غمغم ( باسيلوس ) :

- لا أحب هذا .. إن اتحادنا لقوة .. أما الآن فسيفتك
الوحش بكل منا منفصلاً ...

بحزم صرخت فى وجهه :

- أما الآن - وقد قبلت قيادتى - فقد أغلق باب
المناقشة .. نفذ ..!



وفى تردد بدأ الرجال مسيرتهم المتوجسة ..

لم يكن قرارى عن ديكتاتورية .. بل أردت أولاً أن
أوفر الوقت اللازم لاستكشاف هذا التيه .. ثانيًا : أردت
أن أقلل عدد الموتى لأن الوحش سينقض فجأة .. وفى
الغالب لن نستوعب وجوده قبل أن يفتك بثلاثة منا ..
ومشينا مجتمعين يجعل الأمر بالنسبة له أقرب إلى قدم
تهوى فوق سرب نمل .. أما تفرقنا فيجعله يفتك بواحد ..
ثم يبحث عن الآخرين الذين قد يكونون سمعوا صراخًا
أو جلبة تجعلهم أكثر تيقظًا ..

★ ★ ★

ملحوظة من د . ( رفعت إسماعيل ) :

إنه الفجر .. وأنا لم أنم بعد ، إذ استغرقت فى ترجمة
هذه الرسالة بخطها المجهرى اللعين .. لذا أترككم الآن
لأنام .. وسأعود لأستكمل القصة فى الغد ..

فإلى لقاء ..

★ ★ ★

## ١٠ - مواجهة فى ( اللابيرنث ) ..

صباح الخير ..

( رفعت إسماعيل ) قد صحا من النوم ، وأعد لنفسه بعض البيض المسلوق وكوب شاى .. وجلس يلتهم كل هذا ..

إنها الواحدة ظهرًا .. أعرف هذا .. لأننى سهرت كثيرًا - كعاشق - ليلة أمس مع الأخ ( كوبراتوس ) وقبوه ..

على كل حال .. فى سن المعاش لا يعود النوم حتى الظهر جريمة يعاقب عليها القانون .. أو تؤدى لى رفتك وجوع أطفالك وطلاقك ..

دعونا الآن نستكمل هذه الأحداث ..

أين كنت ؟ ما هى آخر عبارة ترجمتها ؟ ( هذه العظمة جديدة ) ؟

لا .. لا .. ( تجعلهم أكثر تيقظًا ..) ؟.. هذه هى .. إذن فلنواصل السرد ..

* * *



رسمت سهمًا بالطبشور على الجدار .. ثم بدأت أمشى عبر الممر الأيسر .. بقعة من الضوء تدنس حرمة ظلمات دامت قرونًا ..

من جديد أشعر بأن الجدران تعادينى ، وأنها تحاول فهم من أكون ..

بينما وقع خطواتى على الأرض غير المرحبة يصارحنى كم أنا وحيد ..

وكم أنا فى خطر ..

أرسم سهمًا آخر .. ثم آخذ انحناءة يمنى ..

لم أحاول يومًا أن أتخيل شعور الخرزة البيضاء فى المتاهة التى يلهو بها الأطفال .. إن الأمر يبدو سهلاً حين ترقبه من أعلى .. عندئذ تفهم مدى وضوح الأمر ، ومدى تخبط الخرزة وقراراتها الخاطئة على الدوام ...

ما أمس حاجتى إلى أن أعلو .. أعلو لأرى هذه المتاهة من المنظور الذى يسميه المهندسون ( عين الطائر ) ..

لو ارتفعت أكثر لرأيت المتاهة أوضح .. ولو ارتفعت أكثر لرأيت الكرة الأرضية أوضح ..

كأن العلو يرتبط بالحكمة .. ويرتبط بوضوح الرؤية .. لهذا لن يدهشنى لو أن الملائكة تعرف عنا كل شىء ..

ونبدو لها ـ نحن البشر ـ كائنات متخبطة تحبو هلعى فى متاهة .. عاجزة عن رؤية الطريق السديد ..

تبًا لشرود ذهنى !.. ليس الوقت مناسبًا بحال ..

علامة أخرى بالطبشور ...

لابد أننى قد توغلت كثيرًا لأننى أمشى منذ ربع ساعة ..

★ ★ ★

هل مشت قدما ( ثيذيوس ) فوق هذه الأحجار يومًا ؟

لا أدرى .. لكن هذه الأحجار لامست بالتأكيد قدمىْ مئات من فتيان وفتيات ( أثينا ) .. أقدام بضة خائفة .. وأقدام عضلية متوجسة داست هنا قبلى ..

وكلهم رأى ( المينوتور ) فى اللحظات الأخيرة ..

أنا أختلف عنهم جميعًا إذ أحمل قطعة ( طبشور ) وكشافًا وبندقية ..

★ ★ ★

ولكن هل يمكن لوحش أن يعيش ثلاثين قرنًا ؟

علامة أخرى بالطبشور ..

لِمَ لا ؟.. إننا لم نر وحوشًا كثيرة تجمع ما بين الثور والإنسان .. ولا يوجد ما يمنع من اجتماع غرابة المظهر



مع غرابة دورة الحياة .. ولا مانع من أن تصحب التشريح الغريب وظائف أعضاء أغرب .. فإذا كانت بعض السلاحف تعيش قرونًا .. وبعض الذباب يعيش يومًا .. فأى شىء نعرفه ؟.. وما هى القاعدة ؟

إننا نجهل كل شىء عن أى شىء ..

★ ★ ★

ولكن .. ماذا يفعل الآخرون الآن ؟

★ ★ ★

أرى .. أرى بعين الخيال ( باسيلوس ) يتفقد ممراته .. وقد فرد قامته ليوحى لنفسه بالثقة .. ولسان حاله يقول : ( هذا المينوتور لا يليق بى ) ..

وأراه يشعل لفافة تبغ .. ثم ينظر لساعته ..

فيما بعد عرفت أن ( يانى ) صاحب الخان اجتاز عدة ممرات .. راسمًا علامة الطبشور إياها ..

وفجأة وجد نفسه فى ممر .. يقف فى منتصفه شخص منحن يشعل لفافة تبغ .. وعرف أنه ( باسيلوس ) .. لقد تلاقت الممرات !

وتقلصت قبضته على البندقية ...

تذكر ( إيزبيا ) .. رآها تسير فى جنح الظلام دامعة العينين كسيرة الفؤاد ، بعد ما تسلى أحد الأوغاد بقلبها ..

القلب الذى لم يُمنح لأحد من قبل .. أخذه ( باسيلوس ) ثم ألقاه كما يلقى بعود الثقاب الآن ..

وهناك سارت .. وكان ( المينوتور ) ينتظرها ...

وفى هدوء رفع فوهة البندقية وصوّبها نحو مؤخرة رأس الشيطان القادم من ( أثينا ) .. لا شهود هنالك ..

ولئن هلك كلاهما فلن يعرف أحد بما حدث .. ولئن عاش ( يانّى ) فقد قضى التيه أو المينوتور على ( الأثينى ) الوسيم ..

ضغطة واحدة من أجل ( إيزبيا ) .. واحدة فقط ..

★ ★ ★

( ستافروس ) كان يدندن لحنًا حزينًا ...

ولقد تساءل مرارًا عن جدوى كل هذا .. عن جدوى الحياة أصلاً .. لقد ماتت ( إيزبيا ) ولن يجديها الانتقام من المينوتور الأصلى الذى افترسها .. ولا من المينوتور الآدمى الذى حطم أحلامها ..

ربما واحد فقط يستحق الموت هو ( ستافروس ) .. الذى لم يستطع أن يدافع عن حبه ..

علامة طبشور أخرى ...

★ ★ ★



ارتجفت يد ( يانّى ) على الزناد ..

وسمع ( باسيلوس ) يقول دون أن يدير له ظهره :

ـ هيا .. لم لا تفعل ؟!

فى هدوء أنزل ( يانّى ) فوهة البندقية .. وغمغم :

ـ لا أستطيع !

ـ ولِمَ لا ؟

ـ لا أدرى .. وددت لو قتلتك ألف مرة .. لكنى لا أستطيع ..

استدار ( باسيلوس ) فى بطء ، ولفافة التبغ تتدلى من شفتيه .. وغمغم وهو يضع بندقيته أرضًا :

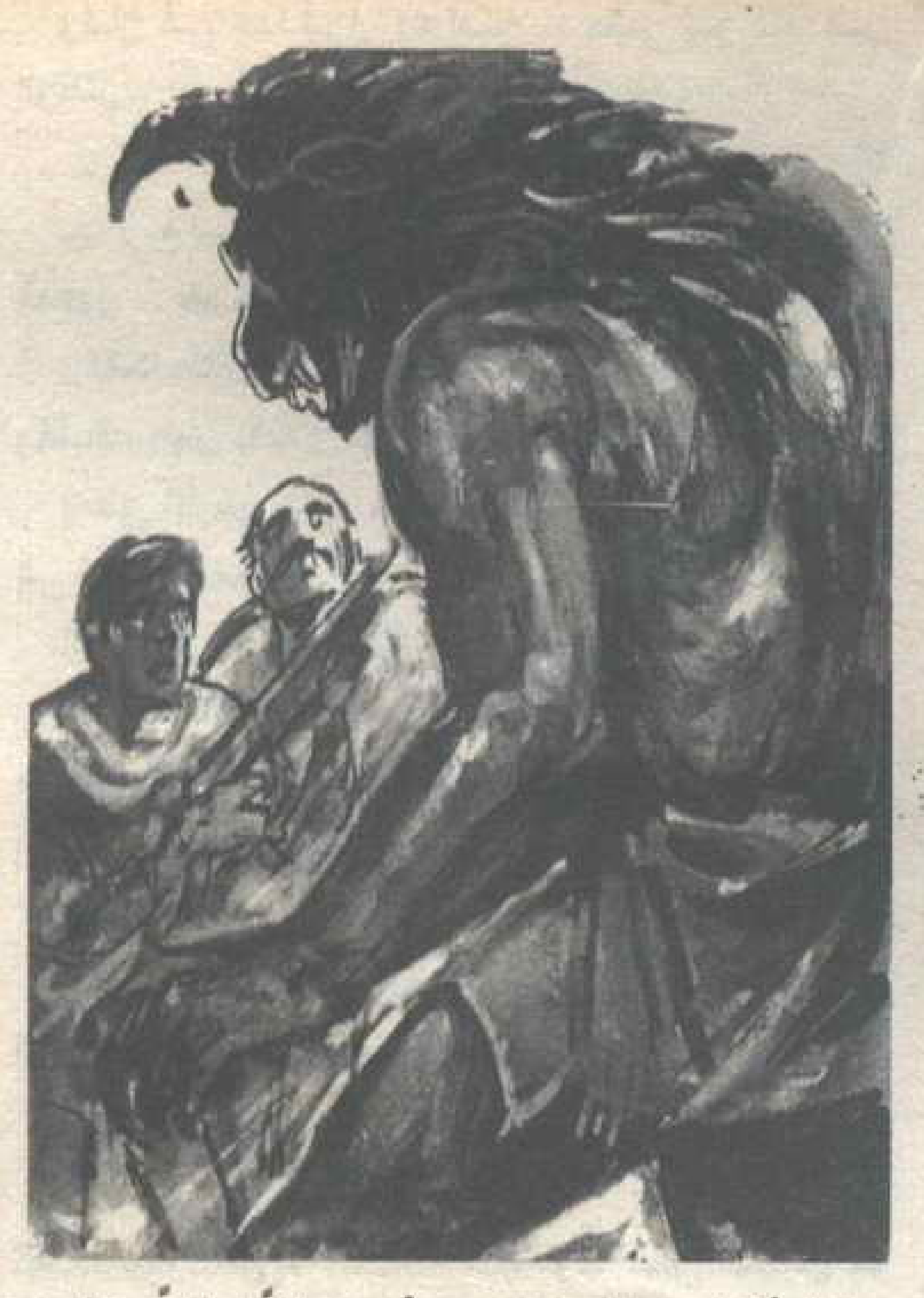
ـ أنت لم تقتل رجلاً من ظهره من قبل ..

ـ لم أقتل أى رجل .. لا من ظهره ولا من وجهه ..

ـ إننى ...

وقبل أن يكمل عبارته ؛ أحس الرجلان أن السقف ينهار فوقهما ..

أما ( يانّى ) فتذكر على الفور مغامرة ( نيقوس ) .. وتذكر أن ( المينوتور ) يمشى على السقف والجدران كسحلية ..



وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقًا هائلاً مغطى بالشعر يقف أمامهما ..

إذن كان الشيء فوق رأسيهما طيلة الوقت ...!

وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقًا هائلاً مغطى بالشعر يقف أمامهما .. ارتفاعه أربعة أمتار .. ورأسه رأس ثور غاضب .. وذراعاه تكادان تنفجران من العضلات المتزاحمة ..

قال ( باسيلوس ) شيئًا ما قبل أن يغيب رأسه بين فكي الثور العملاق ..

ورأى ( يانى ) - غير مصدق - الوحش يطوح جسد ( باسيلوس ) المعلق بين فكيه ، يمينًا ويسارًا .. ويمينًا ويسارًا .. حتى أحس ( يانى ) أن فقرات عنقه هو نفسه تكاد تنفصل ..

وأطبقت العضلات الهائلة على الجسد ، لكى يكفّ عن انتفاضة الاحتضار الأخيرة ..

ولم ينتظر ( يانى ) حتى يعرف نهاية المشهد .. إذ حمل الكشاف فى يده وراح يركض عبر الممرات ، وقلبه يكاد يثب إلى فمه ..

الفرار ..!.. الفرار !.. كرشه العملاق يترجرج .. بندقيته هوت أرضًا .. يركض عبر ممرات لم يضع علامة الطبشور عليها ..

وكان فى هذا قرار إعدامه .. حتى لو فرّ من الوحش ..

★ ★ ★

بعد ربع ساعة وجد ( ستافروس ) جثة ( ميكوس ) العجوز .. لقد هشمها الوحش بضربها فى الجدار مرارًا ..

وكانت هناك طلقتان ثقبتا الجدار .. وبندقية مهشمة ..

يعلم الله وحده أى كابوس سيملأ هذا الفراغ بعد ثوان ..

إصبعه يتقلص على الزناد ..

الخطوات تدنو أكثر ... و ...

فى اللحظة التالية وجدت أمامى ( ستافروس ) يصوّب البندقية نحوى .. وكنت أنا مستعدًا لضغط الزناد ..

افروس ) من حشو سلاحه .. وأخذ شهيقًا

ح يمشى بحذر مقتفيًا قطرات الدم ..

ممر جانبى فى نهاية هذا الممر ..

سده إذ أدرك أنه يسمع صوت خطوات ..!

م ؟.. لا .. إنه لا يرى ضوءًا .. فما الشىء

ى السير فى هذا الظلام الثقيل ؟

طوات يدنو أكثر فأكثر من الممر الجانبى ..

ركبته وأحكم التصويب .. يعلم الله وحده

شىء .. لكنه سيصوب على العينين لو

ن ..



ـ لماذا تمشى فى الظلام ؟

ـ انقطع سلك من سلوك الكشاف ، ولم أستطع ربطه ..

ـ إذن من حسن حظك أنى هنا .. سنسير معًا من الآن فصاعدًا ..

ثم إنه أشار إلى الأرض حيث قطرات الدم .. وقال :

ـ هلك ( ميكوس ) .. ولكنه جرح الوحش .. وإن أثره لواضح ..

ـ إذن هيا بنا ...

لم أعلق على موت العجوز ..

فما دمنا لسنا فى نزهة ، فالموقف لا يحتمل ترف الرثاء لأحد ..

فيما بعد يمكننا أن نلقى الزهور والخطب على قبور قتلانا .. إنها حرب .. وفى الحرب لا تعرف ما إذا كنت حيًا أم ميتًا إلا حين يبدأ رجال الخدمات الطبية فى حصر الجثث .. أما الآن فما زال الأمل قائمًا فى أن يرثينا الناس غدًا ..

مضينا نقتفى آثار الدم ، غير ناسين وضع علامات الطبشور هنا وهناك ..

وأخيرًا كان هناك ممر جانبى سمعنا صوت الخوار قادمًا منه .. نحن لا نطارد ( المينوتور ) .. هو الذى يطاردنا ..

والآن عليك يا ( ستافروس ) أن تتهيأ لإطلاق الرصاص .. وأنا معك فى اللحظة ذاتها ..

ستطلق الرصاص على القلب .. وأنا على العينين .. بعد هذا تطلق الرصاص على البطن .. وأنا على العنق .. وبعد هذا ..

لا داعى للمزيد من التخطيط .. ولنرتجل وقت اللزوم ..

أرجوك ارسم بعض الرعب أو التوتر على وجهك .. سئمتُ هذا التعبير الكسول المتراخى المنفصل عن العالم ..



الخطوات تقترب .. تقترب .. والكشاف مسلط على الممر ..

فى الثانية التالية شعرت بشىء مريع يرفعنى فى الهواء .. ووجدت نفسى أطير لأرتطم بالجدار ..

لقد جاء من الخلف .. كيف ؟

إنه الصدى اللعين جعل صوت خطواته يبدو كأنما من أمامنا .. أضف لذلك أن تركيزنا وكشافنا كانا مسلطين على الاتجاه الخطأ ..

إن هذا الوغد لا يضلّ طريقه أبدًا ..

وفى هلع رأيت وجه الثور المرعب الخالى من التعبير .. ثور له أنياب حادة كالخناجر .. والجسد العملاق المكسو بالشعر يقف على قدمين مخلبيتين قويتين ويزأر .. وكان قادمًا نحوى ..

وبطرف عينى رأيت ( ستافروس ) يهرع على ركبتيه ليأخذ من حقيبته شيئًا ما ..

لماذا لا تطلق الرصاص يا أحمق !.. لماذا لا ...؟

وفجأة رأيته يصرخ فى الوحش .. ثم يهرع ليسكب فوقه سائلاً ما فى ( جركن ) بلاستيكى كبير .. قذفه فى وجهه ، فأصدر الوحش زئيرًا أو خوارًا - لا أدرى حقًا - واستدار له ...

- بروفسور !.. علبة ثقابك !.. بنزين !

فهمت على الفور مرماه ..

لم أكن أعرف أنه يحمل بنزينًا معه .. وعلى الفور مددت يدى لأخرج علبة الثقاب ، وحشرت عودين فيها ثم حشرت الثالث بينهما وأشعلت الرابع .. تلك الطريقة التى كنا نلهو بها فى طفولتنا ، ويشد الكبار آذاننا لمنعنا من اللهو بها .. أسلوب قاذفة السهام المشتعلة التى تحدث الكوارث ...

أشعلت العود الثالث المحشور ، وصوبته نحو ظهر ( المينوتور ) .. فانطلق كالقذيفة ليضرب ظهره .. و .. فهام !..

اشتعل البنزين فى ربع ثانية ..

ورأيت الشىء يتلوى .. ويصدر هديرًا مريعًا ..

وإذ دار نصف دورة رأيت ثقبين فى جدار صدره من رصاصتى ( ميكوس ) ..

لحظات من الرعب .. ثم هوى أرضًا .. وتلوَى قليلاً .. وهمدتْ حركته ...

نهضتُ من سقطتى ، وحملتُ حقيبتى وبندقيتى .. وهرعتُ ألحق بـ ( ستافروس ) .. ورائحة الحريق تزكم أنفينا ..



ورحنا نركض عبر الأنفاق مذعورين يقتلنا الهلع .

لكننا - برغم هذا - نشعر بلذة الخلاص ..

أخيرًا توقفنا جوار أحد الجدارين التى رسمت عليها أسهم طبشورية ربما بيدى أو بيده أو بيد أحدنا ..

ورحنا نلهث ..

ونظرت إلى ( ستافروس ) وابتسمت ..

وكذا ابتسم هو ..

★ ★ ★

# أنتيكليماكس ..

ملحوظة من د . ( رفعت إسماعيل ) :

يمكن ترجمة ( الأنتيكليماكس ) بالقمة المضادة أو عكس الذروة ، وهى تعبير يصف به كتاب الدراما أن تصل الأحداث إلى ذروتها ـ وهى ذروة صالحة لانتهاء القصة تمامًا ـ وفجأة تأتى ذروة أخرى قد تضعف السياق غالبًا ..

على كل حال .. المشكلة مشكلة الأخ ( كوبرانوس ) لا مشكلتى ..

وهاهوذا ينتقل إلى ما يسمى الـ ( أنتيكليماكس ) .. عندما ...

★ ★ ★

وشرعنا نجدّ السير عبر الأنفاق ماشين مع أسهمنا .. ورحنا نتكلم للمرة الأولى بعد ربع ساعة من صمت :

ـ كانت فكرة جيدة أن تحضر البنزين معك ..

ـ وفكرة أجود أن تقذف الثقاب بأسلوب المقلاع هذا ..



ـ كان لابد من وسيلة لإشعال البنزين دون أن أقترب .. وإلا صرت قطعة فحم أنا الآخر ..

ـ لابأس .. اليوم فقط أثبتنا أن ( ثيذيوس ) لم يقتل ( المينوتور ) .. لقد اضطر أهل ( كريت ) إلى دفن التيه بأكمله ليتمكنوا من الحياة ..

ـ .. وظلّ الوحش فى حالة سبات طيلة هذه الأعوام حتى أيقظناه نحن ..

وهنا توقفت .. إذ سمعت صوت خطوات تقترب ..

ونظرت نظرة ذات معنى إلى ( ستافروس ) ..

فرأيت وجهه الخامل يبتسم ..

ورأيت هالة من نور تدنو منا عبر منحنى النفق ..

ثم ظهر وجه ( يانى ) الدهنى اللحيم ، وعيناه توشكان أن تخرجا من محجريهما ..

فما إن رآنا حتى صاح فى هلع :

ـ حمدًا لله !.. أنتما حيان ؟

ـ وظافران .. ولكن أين ( باسيلوس ) ؟

ـ هلك .. انتزع الوحش عنقه .. وأين ( ميكوس ) ؟

ـ تهشم ألف قطعة .. لكنه ـ للحق ـ مات كبطل إغريقى ..

وافترشنا الأرض ، ورحنا نتحدث .. ونتبادل سرد ما حدث بالتفصيل .. ولقد هنأنا ( يانّى ) على قتل ( المينوتور ) .. لأنه ...

ـ لا أصدق أن وحشًا كهذا يمكن أن يموت ..

ـ وكذلك نحن ..

كان ( ستافروس ) جالسًا يعبث فى حقيبتـه ، ويتأمل الجدران .. ثم قال لى بطريقته الوديعة :

ـ هلا ناولتنى الثقاب يا بروفسور ؟

ـ هل ستدخن أول لفافة تبغ فى حياتك ؟

ـ بل سأنظف أذنى !

ناولتـه الثقـاب .. وتركتـه يتـأمل ، وعـدت أقـول لـ ( يانّى ) :

ـ أراهن على أن مصرع ( باسيلوس ) كان ردّ اعتبار لك ..

قال وهو يمسح عينيه فى تعب :

ـ حقًا .. لكنى ـ صدقنى ـ لم أحب ما رأيتـه .. لقد استحق الفتى أن يموت على كل حال .. ولا أخال هناك من ندم علـى فقده .. لقد قتل الوحش من تسبب فى موت ابنتى .. وقتل ( ستافروس ) قاتل ابنتى نفسـه .. أرى فى هذا عدلاً صارمًا مجيدًا ..



ـ إننى أرى ...

فى اللحظة التالية وثب ( المينوتور ) علينا من ركن النفق ..!

كان يخور كبركان .. وقد فرد ذراعيه إلـى جانبيـه .. والزبد يسيل أنهارًا من شدقيه .. وقد احترق أكثر جسده وتشوه .. وفاحت رائحة اللحم المحترق منه ..

وهنا صرخ ( ستافروس ) وهو يلقى شيئًا ما جوار الوحش :

ـ بروفسور .. ( يانّى ) ..!.. ابتعدا ..!

ـ ولكن ...

ـ بحق السماء أسرعا !

وعندئذ رأيت ما رماه جوار قدمى المينوتـور .. كان هذا إصبعًا من الديناميت المشتعل ..

لقد كان هذا هو ما يبحث عنه فى حقيبتـه .. ولأجله طلب الثقاب !

لقد كان يسمع خطى الوحش طيلة الوقت لكنـه لم يخبرنا ..

وهو ذا يثب فوق ظهر الوحش متشبثًا بخصره ..

متشبثًا بخصر هذا البركان الثائر ، محاولاً أن يرغمه على البقاء جوار الإصبع المشتعل ..

وجرينا أنا و ( يانّى ) .. فلم يعد بوسعنا عمل شىء ..

جرينا كما لم نجر فى حياتنا ..

ودوّى صوت الانفجار ..

واهتز التيه مرارًا .. لكنه لم ينهر كما توقعت ..

الدخان يفعم المكان ..

ونحن نلهث طلبًا للهواء .. لكننا نجونا ..

★ ★ ★

وقال ( يانّى ) وهو يثبت الوتد الأول فى الجدار :

ـ لقد كان بطلاً حقًا .. للمرة الألف أتعلم أن الرجال ليسوا بمظهرهم .. لقد كان ـ رحمه الله ـ أقرب إلى فتاة مترهلة ..

مسحت دمعة سالت على خدّى .. وهمست :

ـ كان بطلاً إغريقيًا .. سار فى تصميم إلى مصيره المحتوم .. ولو كان لدينا ( هوميروس ) آخر لخلده فى قصيدة أبدية .. إن ( ستافروس ) هو قاتل ( المينوتور ) الحقيقى وليس ( ثيذيوس ) ...

★ ★ ★



وحين خرجنا من فتحة التيه ..

كان الفجر يتمطّى فى كسل بعد ليلة طويلة .. طويلة ..

ولم يكن أحد هناك ..

بإخلاص / د . كوبراتوس

★ ★ ★

## خاتمة

انتهى خطاب بروفسور ( كوبرانوس ) .. وانتهى ( المينوتور ) ..

للأسف لم يحفظ لنا الانفجار عظامه ، وأنا لا ألوم ( ستافروس ) كثيرًا ، لكننى كنت أفضل لو اختار طريقة أقل جذرية للخلاص من هذا الكابوس الإغريقى ..

لكنها ملحمة حقيقية ..

وإننى لأجد الكثير من ملامح أبطال ( الإلياذة ) فى هذين الشابين ( باسيلوس ) و ( ستافروس ) ..

واضح أن الأول كان يشعر بندم ، وأنه أراد الموت .. لكن كبرياءه السقيم منعه من الاعتراف بذلك ..

على كل حال .. مازال التيه هناك .. ينتظر .. ويمكنك أن تزوره لو خطفت رجلك لترى ( كريت ) ..

★ ★ ★

أشعر بمتعة حقيقية حين أقرأ هذه الخطابات آمنًا فى فراشى .. غير مضطر إلى مصارعة وحش إغريقى فى قبو مظلم ..



وبالطبع لن أكون مضطرًا إلى مواجهة رعب المستنقعات ..

إن الخطاب التالى يتحدث عن مستنقعات تتصاعد منها غازات ( الميثان ) . وترفرف الوطاويط الرقيقة فوق مياهها ..

ومن يعبر مستنقعًا يكون عليه أن يدفع ضريبة المرور بالدم ..

ولكن .. لماذا أفسد قصتى ؟

إن هذه لقصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]

رقم الإيداع : ١٦٠٦

# روايات مصرية للجيب

٩٤٦٩

## ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

### أسطورة المينوتور

إنه هو ..!.. لابد أنه هو ..
عندما تسمعون هذا الخوار ،
تشعرون أنه هو .. عندما تسمعون
هذه الخطوات ؛ تفكرون أنه هو ..
عندما ترون هذه العظام المبعثرة ،
تدركون أنه هو ... إنه في مكان ما
ينتظرنا .. يشم رائحتنا ..،
وحينما يجدنا .. سنوقن
جميعًا أنه هو .....!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة رعب المستنقعات

الثمن في مصر ١٥٠ ـــــ
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٥٩٠٨٤٥٥